الشطحات السكيرجية

(لناصر طرق الصوفية)
وناشر أعلام الطريقة التجانية المحمدية الاحمدية
القاضى أبى العباس
الشيخ احمد سكيرج
رضى الله
عنه

(هذا كتاب حقه أن يشترى ٭ من بائعيه بماحوت أيدى الورى)
(فابذل قصارى الجهد فى تحصيله ٭ واعمل بمافيه تنل أعلى الذرى)

(الطبعة الاولى سنة ١٣٥٢ بنفقة)
المقدم محمد سعيد على افندى المالكى التجانى
من خاصة أصحاب العارف بالله سيدى احمد سكيرج رضى الله عنه
صندوق بوستة رقم ٢١ مصر

(مطبعة الصدق الخيرية بجوار الازهر بمصر)
(لصاحبها الشيخ اسماعيل عبد الله المغربى الصاوى)

الشطحات السكيرجية

(لناصر طرق الصوفية)

وناشر أعلام الطريقة التجانية المحمدية الاحمدية

القاضى أبى العباس

الشيخ احمد سكيرج

رضى الله

عنه

(هذا كتاب حقه أن يشترى ٭ من بائعيه بما حوت أيدى الورى)
(فابذل قصارى الجهد فى تحصيله ٭ واعمل بما فيه تنل اعلى الذرى)

(الطبعة الاولى سنة ١٣٥٢ بنفقة)

المقدم محمد سعيد على افندى المالكى التجانى

من خاصة أصحاب العارف بالله سيدى أحمد سكيرج رضى الله عنه

صندوق بوستة رقم ٢١ مصر

(مطبعة الصدق الخيرية بجوار الازهر بمصر)

(لصاحبها الشيخ اسماعيل عبد الله المغربى الصاوى)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم تسليما
حمد من لا محمود سواه ، وهو الحامد على الحقيقة جل علاه قضى
كماله ايجاد من عبدوه فأوجدهم فنحن له عابدون حامدون شاكرون.
فكان سبحانه وتعالى وهو لازال على ما عليه كان ولا كينونة معه
فى مخدع الأزل الخالى عن الزمان والمكان ، ومن ظن معه وجوده
فقد جحد فضله وجوده ، ومن جهل وجوده معه فهو محجوب إمعه ،
وهل يمكن أن يوجد شيئاً من ليس هو معه ، والشيء دائماً فى طور
التكوين فى كل حين وموجده هو هو ، وإلا لأوجد الشيء نفسه وهو
غير حق والحق بخلاف هذا عند من عرفوه وقد عرفه كل شيء بما تعرفه
به له فكان نفس الدليل على عدم الشريك له فى الملك

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ولم يعرفه على ما هو عليه سواه لا إله إلا هو ما زال ولا ظرف ولا
اتحاد ولا حلول فكان ولا شيء معه كما أرشد الى ذلك سيد العارفين
على الاطلاق سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه السلام فانه العبد
الحقيقى الذى أعطى العبودية حقها والربوبية مستحقها فاقتدى به السالكون
والمسلكون والهادون والمهتدون وكل من وفقه الحق من الخلق ممن
شملتهم دائرة السعادة الأبدية بعناية التوفيق بارشاد خاص أو عام من

كل رسول وكل نبي وكل ولى وكل مؤمن وكل موحد لم يخاطب بالاقتداء بمن أرسل أو لم يخاطب بما أنزل على جميعهم السلام سواء فى ذلك من وجد أو سيوجد الى يوم الرجوع لموطن التعارف والملاقاة بدار السلام

أما بعد فهذه شطحات ذوقية أقدم بين يدى نجواى فيها لذوى المعرفة اعترافى بأن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) متبرئا من كل مالا يليق بمولانا المنزه عن الشريك والشبيه وكل ما يقضى بنقص فى الذات أو الصفات أو الأسماء أو يفضى اليه من اتحاد أو حلول وكل مايباين التنزيه طبق ما أرشدنا اليه رسوله الذى قام بتبليغه الرسالة على وفق ما أمر به فعلا وقولا بأتم عبارة وأوضح إشارة ولم يمتحنا بما امتحنت به أمم قبلنا ماضية ، ونحن الشهود عليهم به وأحكامه دائما ماضية صلى الله عليه وعلى كل من هو منه واليه فانه هبت على نفحات من حضرته فانشرح بها صدرى وورد على وارد قهرى لأسر الى من يقف على هذه الشطحات ما أصر عليه من حب أهل الله وكل من انتسب اليهم فأحبهم حباً فى الله فكان منهم بحبه بمقتضى (المرء مع من أحب) على أن تنتج أسرارى له مسرة فيكشف الله بحبه لهم مضرة ويسقيه من خمرتهم كأسا دهاقا فينفى عنه بالاعراض عن الخوض فى أعراضهم شقاء أو شقاقا فيحمل على غارب جهله ما لا يقبله عقله فيسلم له مايراه منكراً ولا يتقدم أمامهم فيراه الناس يمشى بالقهقرى إلى ورا إلى ورا

هـــذا وإنى سأملى بحول الله فى هذا الرقيم ما أنا به زعيم

ولا احتشم من الدعوى ان شم منى أهلها رائحتها فى حالة حالت بينى وبينهم غاديتها ورائحتها فان الفضل بيد الله ذى الطول والقوة والحول ولا ألوم من قيد على فيها المقال وأنا عندى الجراب المسكت فى مثل هذا المقام الضيق المجال وعذولى فيما أنا مغبوط فى إملائه متعذر لغلبة الحال الوارد على فى حضرات الشهود ولست بغائب عند من ذاق مما ذقت بين قضاة وعدول وشهود ولا أقصد الا خيرا :

﴿وما أبرئ نفسى إننى بشر أسهو وأخطىء مالم يحمنى القدر﴾

وقد كانت نفسى شططا بما على به الوارد سطا فحملتها فوق جهدها مالا تطيق بعد ما حملتنى مالا أطيق فانصفت لنفسى من نفسى غير أنها استحلت مرارة معناى وحسى ولم تبال بذلك العتاب الذى سيعنفها به فى ظهر الغيب من يطلع على ما أنا أمليه هنا وعوما لا يمله من دخل المغنى وذاق المعنى وكأنى بالمعترض شفى غليله بالانكار على وأعانه المغرض الذى استهوته أغراضه فى الاعراض عن الاستطلاع عما وراء الخائض فيما خضت فيه ولو تحمل ما تحملته لم يسعه الا طرح الحمل الذى حمله من السر المحوط بكل صون ولكن بينى وبينه بون وما أرى حالتى معه الا حال الخليل بن أحمد إذ يقول مخاطبا لمن لامه

﴿لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا﴾

﴿لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا﴾

فان أبيت أيها المعترض إلا تتبع السقطات فيما تزيفه من الشطحات فتتبع عورات نفسك فاصلحها قبل كل شىء واسمع :

﴿لى دعاوى عريضة وهى عندى قد بدت فى المقال من عرض حالى﴾

من فتى مادرى الجـوى بمجال ردها بالجـواب عنى محال

﴿ شطح عارف من بحر البسملة غارف ﴾

ياهـذا إنى سألقى عليك قولا ثقيلا وأسمعك على لسان أبكار الافكار ما يعجبك ان كنت نبيلا فاسمع منى هنا أولا فان الترجمة ترجمة لبيان الابتداء الحقيقى واسمع منى ثانيا: فانى أرى الابتداء بالبسملة إبتداء إضافيا بالنسبة لحقيقة الأمر حسبما هو عن الغير استتر وهذا أول شىء منى يذكر فينكر مع أن الاسم قبلة المسمى والذات غير الاسم فالنظر فى الاسم هل هو عين أو غير فى جانب المسمى يتضاءل عن ادراك حقيقة ما أعربنا عنه فالمبتدأ هو الحق والحق غير الخالق وهو فى أحديته تعالى لا يخبر عنه بخبر فقل لى ماذا تنكر على من هذا وقد قلت لك فاسمع

ظهور الكون باسم الله كانا — على وفق المراد قد استبانا

تناسبت الصفات مع الأسامى — فأنتجت الأمانى والامانا

حقائقنا دعت منا وجودا — فكنا طبق مافى الكون كانا

فلولا الحق شاهدنا لكنا — من العدم الذى فيه سوانا

ولو كنا شهدناه اضمحلت — عوالمنا بما منه دهانا

ومن أسمائه نشرت علينا — أشعة نوره لما رآنا

وليس هناك حين فى التجلى — ولولا الحين منا ماجلانا

لقد كنا ولا زلنا لديـه — كما كنا ومنا الكون بانا

برحمته أرانا منه لطفا — نخصصنا وعيننا عيانا

فان نفنى فنحن به وجدنا — لدينا بل لديه كما يرانا

أتحسب أننا فى العلم نفى وقد كنا به وبه طوانا
لقد كنا شهودا قبل كون وهل بعد الشهود نرى سوانا
فنحن لديه من قبل وبعد وحال كاننا فيه كفانا
فلا تجعل لنفسك معه شانا فحالك حالك لولاه شانا
ولكن باسمه كن قائما فى مقام الشكر تحمده زمانا
فان الحق حق دون شك وان العبد عبد حيث كانا

﴿ وقلت فى هذا المشرب ، وما إخالك فى هذا المقام غير مذبذب ﴾
﴿ فان القيت الى سمعا فاسمع : ﴾

أتذكر اذ خوطبت فى عالم الذر وأنت تجيب الحق بالحق فى الجهر
تذكر لعل الذكر يجرى بفكرة لديك وكم ذكرى تجر الى الذكر
ألم تك ذا ذكر وعقلك راجح فمالك بعد الرشد أصبحت فى الحجر
كانك قد أصبحت فى قفص الهوى فساقك من بعد الهوان الى الأسر
أنفسك قد ساقتك أم أنت سائق لنفسك قل لى ما دهاك فهل تدرى
لتنظر الى ما أنت فيه ولا تكن بلا كبر عظم النفس تدعو الى الجبر
لقد ضل من بالجهل ضيع كسبه وأصبح يدعو الخالق بالجهر للخسر
ولا تك ممن لا يرى غير نفسه لدى الخير بل والشر فى الجهر والسر
فللشر قوم لن يميلوا لغيره بداعية منهم تقود الى الشر
وللخير قوم قائمون بحقه بداعية التوفيق جاءوه بالقهر
وما ثم الا ما تبدى بحكمة على وفق ما قد كان من سابق الأمر
فان كنت لا تدرى أجبنى مسرعا وان كنت تدرى لا تجبنى مدى الدهر
فحالك عندى قد تقرر بعد ما عهدتك صبرا لا تجيب ذوى الخبر

وعقلك في نهج العقول تحبه　　وجبرك لا ترضاه يوما مع الكسر
سألت لك التوفيق للحق دائما　　ليمنحك اليسرين مولاك في العسر

﴿ وقلت من هذا النفس النفيس ﴾

﴿ وهو مما تطيب به النفس فاسمع : ﴾

ان في الرحمن الرحيم لسرا　　ظاهرا عند من بمعناه سرا
وهو في حضرة التجلي خفي　　بكمال الظهور دنيا وأخرى
وهو في باسم الله زاد خفاء　　مع أن اسم الله يكشف ضرا

﴿ شطح على جانب سطح ﴾

﴿ سريع الزلق بمن صعد اليه بقلق ولم يكن على الحقيقة بالشريعة تعلق ﴾

دخلت لحضرة الأنس بالمحبوب في عالم الخيال فأقبل على وبيده ما ألقم به فمي ولم أفهم القصد الا بعد بعد فقلت مخاطبا له بما أنشأته هنا وها أنا ذا أنشدك ذلك فاسمع :

ان كان يعجبكم رخيم غنائي　　فأنا بكم في الناس دام غنائي
وأنا الطروب بذكركم بين الورى　　ومتى ذكرتكم يزول عنائي
بكمو نسيت الهم حتى انني　　لا هم عندي مع عظيم بلائي
قد غبت عن حسي بكم عن غيركم　　وأنا التفاتي لم يكن لسوائي
أنتم أنا وأنا لديكم أنتمو　　وأنا وأنتم في عظيم ثناء
ما أنتمو حقا أنا في مظهر　　فيه انجليتم في أتم جلاء
بل أنتمو حقا أنا في مخدع　　ما كان عندي فيه نوع خفاء
لالا اتحاد ولا حلول وانما　　يخفى على الجهال والبسطاء
ما ثم الا أنتمو وأنا أنا　　ما ثم غيري قائم بفناء

والله يعلم ان ما قد قلته حق وما فى الحق كان مراء

(شطح حبر بافشاء سر)

(طالما كتمه حتى ضاق به الصدر وعيل منه الصبر)

لقد جلت فى عالم الخيال مرة فى حقيقة كونى وسر تكوينى فرأيت الكون متنورا بمكونه وغشينى من النور ما غشينى وازداد النور لمعانا فغضضت بصرى وفتحت عين بصيرتى فلم أقدر على النظر لما تجلى على ثم خاطبت سرى فى سرى فلم أفهم عنى ما أعنى وصرت لا أعرف ما أقول حتى كانى أعرف بالقول نخاطبت نفسى بما انشده فى هذا المحل فاسمع

يا أنا هل لما تقول وزنت — أو لما قلته أنا لى أذنت
يا أنا هل أنا أنا فأجبنى — أو أنا أنت أو أنا غير أنت
إن أكن أنت كنت غيرى قطعا — أو تكنى فأنت غيرى كنت
إنى عنك صنت سرى وكم سـ — ـر به بحت ان له أنت صنت
ما عجيب أمرى لديك اذا ما — دمت فى مخدع به قد قطنت
عجبا منك كيف غيرك أضحى — فطنا بالذى به ما فطنت
يا أنا ما أنا أنا ولو انى — كنت يوما أنا لما لى خنت
ما أنا أنت بل أنا أنت إلا — أننى لست بالذى بى ظننت
من قديم عرفت أنك غيرى — بل أنا دائما أرى بى امتحنت
نسأل الله لى يكون لعلى — آمن المكر منك بى إن أمنت
لا تقل أنت أنت يوما ولا أنـ — ـنى أنا مذ عرفته واستكنت
واذا ما جزمت من أنت حقا — يا أنا لا تقل أنا هو أنت
ان لله وحده العلم والعلـ — ـم به قد قضى بما فيه كنت

جل مولاك عن حدوث وعن شـــبه حدوث وانت فيه سكنت

﴿ شطح مريد غير مريد ألقى بدر النضيد فى مخاطبته فريد ﴾

(ولا يبعد أن يكون من باب التجريد)

رمتنا المقادير فى جولة الى مدينة من مدن الدولة فجالت النفس فى مجالى المعارف فى بلد ضرب التهتك فيها أطنابه وعلم كل واحد من أناسنا شرابه فخاطبت رفيقى حين كسر الـكاس البريقى وكدت أن أغص بريقى وقلت له ما أمليه عليك فاسمع

أتعرف منك النفس لما استقلت ... وأنت إذا حققت فيها اضمحلت

تقول أنا لـكن نا يكن أنا ... أناه‍ن أنا كى لا أموت بحسرة

فحقق بعين الحق من أنت كى ترى ... بانك غير الحق بين الخليقة

وان رمت كشف الحجب عنك لينجلى ... لك الحق كن بالحق صاحب حكمة

وخذ من يقين العلم حق يقينه ... لتعلم حق الحق بعد التثبت

واياك اياك اقتحامك لجـة الـــحقيقة واسلك ماسكا بالشريعة

ولا تك ذا وهم يظن بانه ... رأى الحق حقا فى شهود البرية

كمن نظر المرآة يوما بعينـــه ... فظن بأن الذات فيها تجلت

فقال أنا هذا وهذا أنا وها ... أنا غير هذا وهو غير الحقيقة

فليس قديم الذات مثل حديثها ... وشتان ما بين الهوى والهوية

فدع عنك يا هذا أمورا جهلتها ... فجهلك أولى عندها دون مرية

وعجزك عن ادراكها درك لها ... فهى وما ادراك ماهى عزتى

أتحسب أنى لى أبوح بسرها ... فأجرى لغيرى أين عهدى وغيرتى

وان كنت ممن ليس يـكتم سره ... بحال فسر عزتى تحت عهدتى

وكم سائل عنها دمعي سائل ... فينكف دمعي خوف اظهار لوعتي
وأذكر غيراً باللسان وذكرها ... بقلبي فيغدو معرضا عن تعنتي
وتبصرها عين البصيرة في النوى ... وفي القرب لكن وفق قصدي ونيتي
أراها ولكن ما أراها حقيقة ... اذا ما صدقت الله في حق رؤيتي
أقول رأيت الحق والحق شاهد ... بأني ما أبصرت غير حقيقتي
فشاهدته لكن شهدت بأنه ... هو الحق جل الحق عن كل صورة
ولي في مقامات الشهود مشاهد ... لدى شهود قد أقيمت لدعوتي
اذا استفسرتها فتية العزل بينهم ... لعمري أفتى كل عدل بتهمتي
فيسقط حقي حين قمت مناضلا ... لنيل منى نفس رمت بي لشهوتي
لحا الله نفسا قد تبوح بسرها ... وفي البوح بالأسرار كل مسرة
وإن سكون القلب فيها يروحه ... بها وذوو الحرمان عادوا بخيبة
فلا يعرفون القصد فيما بجلالهم ... لأن التجلي ثم وفق المشيئة

﴿شطح في جب . من صاحب حب﴾

﴿نتيجة عجب وهي من حضرات القرب إذا تحقق المعجب بما﴾
﴿لديه انكشف له سر العجب فرأى نفسه غير نفسه التي كانت مستولية عليه﴾
﴿فيزول إعجابه ويتعجب مما كان عليه من الجهل وتثبت لديه المعرفة التي﴾
﴿لا عجب معها فيخرج من حضرة الرضى عن النفس ويدخل في حضرة﴾
﴿الرضى بالله فيستعذب به ما يتجرعه من كأس القهر النفسي الذي يتجرد﴾
﴿به عن لباس الكبرياء الذي جبلت النفوس على التشوف إليه﴾
﴿وقد صدح بلبال القريحة سويعة بين يدي على أفنان شجرة جلست تحتها﴾
﴿في روضة أنس لمطالعة سر هذا الفن الغريب فكتبت هذه الأبيات﴾

﴿فان ظهر لك أن تشاركنى فى الاعجاب أو عدم الاعجاب فاسمع:﴾

أنا فى الهوى لى حلا المشرب ولى عند كل ولى مذهب
ولكننى صرت منفردا بورد به المر مستعذب
دخلت به روض أنس بها أقمت وعنى انجلت حجب
وسرحت طرفى فى عالمى فكاد يطير بى الطرب
عجبت لأنسى فى وحشتى وأنسى من بعدها أعجب
خرجت من الغيب فى حلة بها صرت فى التيه أتقلب
وتهت على الكون جهلا بها وإنى بها دائما معجب
وما كنت أدرى أنا من أنا فكيف أنا ياأنا أعجب
أأعجب من عدم قام بى خرجت به وله أذهب
أو اعجب من فقد على بما أنا كنت فيه ولا أكذب
أقول علمت وجهلى بدا وجهلى حقيقى كما أحسب
فان قيل علمك أنت بما تقول هو العلم والأدب
فاين مقامك فى الجهل ان جهلت وعلمك لايغلب
أعلمك جهل وايهما اليك حقيقى وما الأغلب
فان كنت تجهل لم تدرما تقول وأنت به تطرب
ولم تعلم الجهل منك سوى بعلم وأنت له تنسب
فانى أقول لمستفهمى وقلبى لما قلت يضطرب
أرى العلم نورا لأصحابه يضىء به لهم الغيهب
هو الشمس والعقل يقبس من سناها اذا غربت يغرب
وأفضله العلم بالله وهو عندى اللدنى الذى يوهب

ولن يتساوى جهول به ومن علمه ليس يكتسب
سل الله يؤتيك حكمته فما بتعلمها تكسب
وانى جهول ظلوم وما ابرئ نفسى التى تطلب
ومن كان مثلى يحق له على العالم يبكى وينتحب
ومن لى به وأنا مدع دعاوى قمت لها أكتب
ومن يدع العلم رد الى مقامات جهل بها يعجب
وها أنا ذاك عجبت ولم أزل معجبا بى فلا تعجبوا
فمن لى بعلم حقيقى به أباهى سواى ولا أعجب

﴿ شطح واجد نعمة وفاقد نقمة عند سماع نغمة بين نور وظلمة ﴾

لقد قابلت بين النعم البارزة من حضرة الغيب وبين النقم المتراكمة على فاذا بالنقم فى جنب النعم كلا شىء بل هى من نفس النعم فالمنتقم منه فى الظاهر متنعم فى الباطن فينبغى شكر المتفضل بها بالصبر فيها عليها كما ينبغى الصبر على حفظ النعم بشكره عليها فالمنعم عليه فى كلتا الحالتين مطالب بالصبر والشكر معا من جهتين مختلفتين وبعد ما جلت فى هذا الميدان جولة الصابر الشاكر والشاكر الصابر لم اجد لى طاقة على تحمل الصبر ولا طاعة أؤدى بها حق الشكر والعاجز مثلى فى هذا المقام غير معذور فما بالك بالقادر المجبور وانا بما فوض الحق الى من الكسب قادر على القيام بمأمورية المقامين ولعل الاعتراف هنا بالعجز عن أداء الحق المفترض يقوم بما يستوفى به الفرض ولا غرض للحق فيما به أمر الخلق واذا كان لا غرض له فى الأمر فالمؤاخذة متحققة بالتهاون بمقتضى النهى والامر وقد أملى على الوارد هنا ما أمليه عليك فاسمع :

أمرتك والأمر منى ولى فان تمتثله فأنت ولى
ومالى فيه يرى غرض ومالك فيه سوى عمل
انا فاعل ولنفسك ما نسبت لها غير محتمل
فان تجهل الأمر كنت به كما أنت كنت بلا خلل
وان تعلم الأمر كنت به كما أنت كنت فى سابق الأزل
وحالك ليس يرى حالكا لأنك فى النور فى حلل
أترفل فى حلل نسجت بلطف وتصبح فى دخل
اذا أنت لم تك منتبها لما أنت فيه متى تعقل
وأنت الذى فيك مستودع لطائف هذا الوجود الجلى
وأنت تراه فمالك لا تقر بما هو منى ولى
فلا تتجاهل فانت به عليم ولا تقف غير العلى
وقل انت انت وانى أنا وما انت انت لدى الجدل
لقد كنت فى الغيب وفق الذى أنا فيه حقا بلا مثل
أنا الخلق حقا ولست أنا سوى الحق لست بمحتمل
دع الشك عنك ولا تعتقد عقيدة من جهلوا نحلى
فنهيك نهى فهل تنتهى وأمرك أمرى فامتثل
ومهما عجت فكن قادرا ومهما قدرت فلا تفعل
ومهما صبرت فكن جازعا ومهما جزعت فلا تجهل
وكن شاكرا غير ملتفت لشكرك فالشكر منى ولى
ومهما عرفت الذى نلته لدى فأنت لدى ولى

وها هنا صح بلبالى حضرة الشكر فتمايلت به يمينا وشمالا مما داخلنى

من الشكر حين سمعت صوته الرخيم حتى كأنى فى جنة النعيم وها أنا أملى عليك ما أنشده فاسمع :

أنا الشاكر المشكور فى حضرة الشكر — انا الذاكر المذكور فى حضرة الذكر
وان قمت لى بالذكر فى حضرة الفنا — بقيت وذكرى منك دام مدى الدهر
فكن بى إن تذكر ولا تك ذاكرا — بغيرى فذكرى لا يقوم به غيرى
وهل انت غيرى او انا أنت لا تدع — معى لك حظ النفس فى السر والجهر
اذ انت قد لاحظت أنك فى غنى — رماك تجلى القهر فى حيز الفقر
وان انت لازمت افتقارك لى فلا — فلاح لمن عاداك فى البر والبحر
وشكرك لى شكر لنفسك عندما — ترى كل شىء منك منى بلا نكر
ويحسن فى عينيك ماقد صنعته — وصنعى بديع عند من قام بالشكر
وانت من الصنع البديع فهل ترى — سوى البر منى ان نظرت الى برى
أجل إن اجلى منصب بك قد علا — على به استشرفت فى عالم السر
وليس يرانى من تصور صورة — مجسمة أوما تخيل فى الفكر
وانت اذا شاهدتنى لم تكن لما — شهدت مع التنزيه لى كاشف الستر
عرفت فلازمت التعرف لى بما — منحت ولم تسلك على منهج وعر
وقلت لمن قد قام فى القوم يدعى — وصولا وما فى القول ريب لذى خبر
اتعرفنى والنفس منك جهلتها — ومن جهل الأدنى لأقصاه لا يدرى
بلى أنت تدرى اذ وقيت من البلا — بمعرفتى من بعد ما كنت فى خسر
وأعرضت عن إلحاد من عرضوا بمن — أقروا بتوحيدى ولم تصغ للنكر
رفعت لواء الشكر فى أفق حضرة — لها كنت ممن قام فى نصرها يجرى
فشاهدها من كان منى مقربا — وعنها نأى من لا يقر بما تدرى

إذا لاحظته من جنابى عناية ... فلاحظ للانكار فيه مدا العمر
فان ولائى فى ولاء أحبتى ... ومن لا يواليهم تقهقر بالقهر
لعمرك ان الله ناصر حزبه ... بحرب اقامتها عليهم ذوو الفخر
ومن ذا الذى قد حارب الله جهرة ... وينجو من الويلات فى السر والجهر
فلا تعترض مادمت حيا عليهم ... وكن دائما سلما فتسلم من مكر
فيا أحمد احمدنى بحمدك انه ... يزيدك منى فوق مارمت من برى
ستشكرنى والشكر منك قبلته ... فكن شاكرا لى تحظ منى بالشكر
ومالى حال ان تكن لك حالة ... فلا تك فى حال يحال بمفتر
لك الله لا تعبا بمنتقد ولم ... يذق من مذاق قد حلا لذوى الذكر
وكن دائماً ممن لديهم عقيدة ... عن الحق لم تعدل فتمنح بالسر

ولما وصلت لهذه الحضرة وسقيت فيها بكأس من عتيق الخمرة خرجت عن الكون ودخلت لمخدع الصون وأجلت الفكرة فيما تجلى لى فى هذه الحضرة فاندمج حضورى فى غيبتى وغبت عن شعورى فى حضرتى ولست ممن حصل له الاطباق حين اصطفت بين يديه متنوعات الأطباق من كل فاكهة زوجان وفى كل مائدة لونان فعرفت الشكر وما ينتجه من زيادة النعيم والتحدث بالنعمة ولو على سبيل التبجح غير ذميم فدفعتنى يد النفس المطمئنة لأخرج لحضرة النور من الدجنة فانشأت ماسامليه عليك هنا فاسمع:

عجبت لمن فى الناس قد كتم السرا ... وللسر نار فى الحشا اتقدت جمرا
واما آنا فالسر لست بصابر ... على حمله بل ما استطعت له صبرا
وإنى على افشائه لمصمم ... ولو أننى قد جئت شيئاً يرى نكرا

وأعلم أن السر فى غير أهله ... يدافعهم عن نفسه اذ يرى شرا
سأشرح ما عندى ولست مباليا ... بما بعد هذا عند من هول الأمرا
انا كنت قبل اليوم فى عالم البقا ... محوطا بما غيرى به لم يحط خبرا
وبى رمت الاقدار فى عالم الفنا ... فأفنيت عمرا فيه أحييته دهرا
وبعد بقاءٌ، فى الفناء ملازما ... فنائى أيت الحق بى أستوجب الشكرا
فكنت بنفسى منه نفس ثنائه ... عليه وشكرى كان منى له قهرا
ومن كان عين الشكر قبل وجوده ... بفضل وجود فهو فى الشكر قد قرا
فيربح شكراً بالشعور ولم يكن ... بشكر الشكور الحق قد ضيع العمرا
ولما عرفت الحق فى نفس شكره ... عجزت عن الشكر الذى كان بى أحرى
أنا فى شعور بى وشعرى ضائع ... وما كان من حقى بأن أنظم الشعرا
قرأت سطور الكون فى لوحه الذى ... بأوله الدنيا وآخره الأخرى
وبينهما سطر حوى سر كلها ... مضمنه رمزى الذى لم يكد يقرا
انا ذلك المسطور فى نظرى ولا ... يراه جليا من غدا ناظرى شزرا
وفى جبهتى تسطير ماهو كائن ... الى ما يشاء الله بى فيه لى بشرى
وأنظر مرآتى فاقرأ شكلها ... باحرفها السبع التى جهل القرا
واشرح فى نفسى بنفسى مشكلا ... تها والسوى لم أبد منها له النذرا
وربتما أبدى له من معارفى ... لطائف من لطف به عرف السحرا
أترجم عن نفسى له فاذا درى ... مرادي لا يبقى له معه استقرا
فيفهم عنى ما أقول وربما ... يغالط منه النفس وهو به أدرى
يغار على السر الذى قد كشفته ... له وعليه قد غدا يسدل السترا
فأعذره من بعد ما كان عاذلى ... ومثلى فى أمثاله قبل العذرا

وهذا مقالى فى مقام وصلته … شرحت به ممن أحب له الصدرا
فلاح له نور أضاء له الفضا … وزال فلاحا إذ رأى الآية الكبرى
رأى الحق حقا فى مجالى مجاله … فنزهه عما به شغل الفكرا
ولم يتخذ تمثال تمثيل مثله … لديه مثالا باتحاد يرى كفرا
رأى وحدة فى كثرة فتحولت … إلى عينه لما غدا وحده يقرا
وصان لها سرا فأصبح عينها … يراها به تبدى له البشر والبشرى
وأضحت لديه كثرة عين وحدة … بحق ولم يهتك لحرمتها سترا
ويارب ذى عقل يزيد بعلمه … جلالة قدر عند من جهلوا الأمرا
فأنكر هذا الأمر معتمداً على … علوم بها قد أصدر النهى والأمرا
وسارع للانكار إذ صار وحده … يجول بمضمار به صارع العذرا
ولو أنه سار الهوينا بنفسه … لأدرك أسراراً تنير له الصدرا
خليلى هل من وقفة لك هاهنا … فتقطف ثمرا من رياضى أو زهرا
فبالبال بلبالى بسرى صارح … فاحزن أقواما بها غيرهم سرا
على مثل هذا قد أسفنا وإننا … لندعوا بتوفيق لمن غير النكرا
فهل لك علم بالذي معك انجلى … وما معه قد كنت سرا ولا جهرا
معى لا معى أضحى وما معه أنا … إذا معه قد كان لى مجلس سرا
فان تك ممن يعرف الفرق بين ما … معى أو أنا بالحق معه تكن حرا
ولا تطمعن فى نيل حرية ولم … تكن فى قيود الرق من أحقر الأسرا
وما انفك حال عنك حينا وأنت فى … مقامك لازمت العبودة والفقرا
متى حلت عن هذا المقام فتدعى … بلوغ سواه عنده وجهك احمرا
فكل مقام بعد هذا حللته … يرى لك حالا لا مقاما سما قدرا

وما قلت هذا عن هواى وانما ... دعانى إليه من له أسند الأمرا
نظرت إلى مرآة عين حقيقتى ... فشاهدت وجهى نوره يخجل البدرا
فقلت أنا هذا الذى ها هنا انجلى ... وإلا فمن هذا الذى ها هنا قرا
أنا عين هذا الكون والكون لم يكن ... سواى وكونى فيه خلدت لى ذكرا
وإن لم أكن عين الذى قد شهدته ... فلى شاهد يتلوه من شاهد الأمرا
أقول أنا حقا أنا وأنا إذا ... تحققت لم أعرفه فى حضرة الذكرى
بلى ما أنا إلا أنا قام غيره ... به بل بغير قد أقمت أنا دهرا
وقمت أنا بالغير والغير قام بى ... فيعرفنى طورا ويجهلنى طورا
ولم أجهل الحق الذى بى عرفته ... ومعرفتى فى عين جهلى به تدرى
فلله جهل كان معرفة به ... ولله علم للحقيقة قد جرا
فلا تدعنى فى الحق معرفة به ... ولا تك ممن صار بالعلم مغترا
ورد كمال العلم لله لا تقل ... أنا عالم كيما يورثك الخضرا

وبعدما جلت فى عالم كونى ولم يفدنى فى كتم السر شدة حرصى عليه بصونى أرحت نفسى بحط الحمل واسترحت فى نفسى من كل هول بعدما استهدفت لسهام الانكار على وقبلت من كل منكر ما يرميه إلى ولم يقبل منى عذرى فى خلع عذارى فانحط لديه مقدارى حيث لم أرفع له رأسا ولم ينفعه ما أفعمت له به كأسا ودخلت فى مخدع التستر عنه من شدة الظهور مدى الدهور وزاد بى الحال حتى قلت بارتجال ما أمليه عليك هنا فاسمع :

تسترت عن قومى بحال ظهورى ... ورب ظهور قاصم لظهور
وألقيت عنى بالدعاوى مشقة التستر حتى لا تبين أمورى
وكم معجب من حالتى متأثر ... بحالى ولكن لم يقم بر بورى

وآخر من بعد تعشق مشهدى ... ولما رآنى خاض بى فى بحورى
يقدم رجلا بعد أخرى تأخرت ... ورائى بحسن الظن أو بنفور
رأى ظاهرى فاستنكر الأمر باطنا ... ورب نكير لم يكن بغيور
ومازلت فى رفق به متحملا ... أذاه بما أبداه لى بفجور
فشاهد منى الجد غير مخادع ... له ورأى منى سواطع نور
فعاد سليم الصدر غير مكابر ... بتسليمه لى وهو غير غرور
وأصبح والايمان رائده إلى ... طريقة سر فى كمال سرور
طريقة شيخ قد أشاد قصورها ... على أسس التقوى بغير قصور
وتوجنى فيها بتيجان سرها ... وأجلسنى فيها بصدر صدور
ولما رآنى صاحب الحب مدلى ... كؤس سرور قد أزحن شرورى
فشاهدنى الأحباب بالأعين التى ... قد امتلأت منهم بكل حبور
فشا عندهم حبى لشيخى ولم أكن ... بما حزته من غيره بفخورى
وإن أفتخر فالفخر قد حق لى بما ... أنا نلته فى شكر خير شكور
لى الله إن لم يعرف الناس رتبتى ... فلى رتبة بالشكر فوق بدور
نعم ومقامى فى الشهود قد ارتقى ... ودعواى ما فيها شهادة زور
فان أدعى فوق الذى غيرى ادعى ... بسكر فانى فى كمال حضورى
دعوت إلى دار السلام وراثة ... فيا فوز أحباب أحاطوا بسورى
سأفشى لهم سرى الحقيقى ليعلموا ... مناقب عنها قد رفعت ستورى
فمن يعتقدها فهو من أهلها وما ... لمنتقد الا عظيم ثبور
أجل ما أجل الله فهو بفضله ... يخص الذى قد شاءه بأمور
فان كنت تبغى الخير فاسلك طريقتى ... ففى سالكيها الفتح صار ضرورى

وقد جمعت مالا أبوح بسره لغير شكور مع عظيم أجور
وفيها بدالى ما بدا من حقيقة بها صدحت نفسى بغير شعورى
متى سرت فيها صرت فيها متوجا بتاج قبول فى كمال ظهور
وحقك ما هذا المقال بمفترى ولكنه حق لشرح صدور

﴿ شطح شيخ مرشد ﴾

﴿ بين مريد معتقد وبين مريد منتقد ﴾

لا أقبح من الدعوى لكونها بلوى فالمرشد لا يزال مريضا ولو كان بها بعض من تصدر للدلالة مريضا حيث أنه فى سلوك الرياضة بمريده مجتهد ينتفع به المعتقد وينتقض به حبل المنتقد فلا يليق بطالب الخير انتقاده بحال ولو أخبره من تصدر للأرشاد بمحال سيما بمن كان معه علم الرسوم فان العلم حجاب للخصوص فأحرى العموم وكل من اتصف بالانتقاد يحرم فى الخير من الازدياء واعتبر هنا بقضية موسى مع الخضر مع استسلامه وإخلاص انتقاده فليس لديه حظ نفسانى فيما أنكره لما شاهد ما يكره فقضى علمه عليه بالانتقاد من غير تنزله عما هو فيه من الاعتقاد وحيث لم يصبر على مشاهدة خرق العادة اعتذر للخضر فى موجب الاعراض عن الاستفادة فهو الذى حكم على نفسه قهراً وقال له قد بلغت من لدنى عذراً فعلم الخضر لدنى غير مكتسب بطلب وهو فى مقام القربة لا يعمل عمله إلا من حصل على علوم أربعة : علم الفرق والجمع وعلم الكتابة الالهية وعلم النور والعلم اللدنى كما قاله الشيخ الأكبر ويحتاج هنا إلى تحرير علم الكتابة هل فيه تحريف عن الكناية من الكنية أو من الكتب

فنقول إن الكائنات سطور رسمتها يد القدرة فى لوح الوجود يقرؤها العارف فمن لم يعرف هذه الكتابة الالهية لا يعمل عمل الخضر كما أن من لم يعرف ضميرى الكناية فى قوله تعالى علمناه فلا يعمل أيضا عمله ومعلوم أن الضمير كناية عن الظاهر اختصارا عند النحاة ومعناه هنا ينكشف بالذوق لكن فى التعبير عنه يحتاج لاذن خاص وإلا كان النكير فى محله عليه لا تحصل إذاية للمنتقد عليه وهذا من التنكير الذى يزداد به تحققا من نظر بعين البصيرة إلى قوله تعالى علمناه من لدنا علما فالله تعالى يقول من لدنا وموسى يقول من لدنى والعلم اللدنى من علوم القربة لا يحتاج فيه إلى تعلم لأنه يقرؤه العارف به من سطور الكائنات التى من تأملها فتح عليه كما أرشد إليه القائل :

(تأمل سطور الكائنات فانها   من الملأ الأعلى اليك رسائل)
(وقد خط فيها لو تأملت سطرها   ألا كل شىء ما خلا الله باطل)

وكل ما اختلج فى الصدر من معانيها الرائقة فهو مقصود للحق ولولا ذلك ما خطر ببال من فهم ذلك فهو فهم عن الحق يعطاه الموفق وإن كان ينتقده عليه من وقف موقف التحرى من علماء الرسوم ولكن لم يتم تحريه حيث قام بانتقاد ما لم يحط به خبرا فكان الأولى بمن لا يدرك فهمه مدارك المعبر عما فى ضميره من الواردات أن يصبر قليلا عن الابتدار بالانكار والمفتوح عليهم ينظرون إليه من وراء الستار ويتاسفون لعدم انتفاعه بما لديهم من الأسرار فهم أحرص الناس على نفع المؤمن وما أحوج المؤمن إلى تمام استسلامه بالتسليم لمن أذن لهم فى التعبير ليتم إيمانه بالغيب ولا يحرم من الاستفادة إن كان

سليم الطوية وإلا فهو على خطر عظيم لما خاطر فيه بنفسه من التجرىء على القوم السالكين على النهج القويم وهو بذلك غير عليم وحقه إن وفق أن يقول رب زدنى علما كما طلب ذلك الرسول الكريم عليه السلام فقد نال المصطفى العلم الذى لا يدركه غيره من علمى الظاهر والباطن ولم يكتف بما لديه من ذلك حتى كشف الحق له الحجاب فشاهد الحق حقا فهو عالم بالكتابة الالهية مع أميته التى هى فى حقه معجزة باهرة وقل من يعرف هذه الكتابة من جل جلة أمته مع علمه بالكتابة الخطية ولهذا كانت أمة أمية وإنها ولو عرفت الكتابة فالكتابة الالهية عن جلهم خفية ومن عرف الكتابتين منهم كان فى حيز من ورث السر الذى فاق به فى الأمة بما حصل عليه من علوم القربة وهم أفراد نرجوا أن نكون منهم فى فهم الصواب دون خطأ فى الخطاب فالله جل شأنه يقول علمناه من لدنا علما ورسول الله أمر بأن يقول رب زدنى علما فهذان العلمان المنكران مختلفان أو متحدان لا سبيل لفهم معناهما لغير من حل فى القربة فانكشف له عن علومها الخاصة التى يتوصل بها لفهم الاحاطة بالعلم القديم لا تكون لمخلوق والاحاطة بالعلم الحادث لا تكون إلا لسيد الوجود ﷺ فلا إحاطة لغيره مثل إحاطته فقد علم علم الأولين والآخرين ومع ذلك قال زدنى علما وامتثالا للأمر الصادر له ليعلم أمته حسن الطلب ولو بلغوا ما بلغوه من العلم وهذا فى حقهم من حسن الأدب ثم نقول : علوم القربة لها درجات خاصة عند العارفين من أهل الأنوار ومن أهل الأسرار من الواقفين منهم على عددها ومن غير الواقفين على نهايتها من ملامتية وغيرهم وللنبى

صلى الله عليه وسلم الاحاطة بها مع ذوقه لما يسقى به فى كل درجة من مشرب المعرفة الخاص به والعام لغيره وغاية ما يعرفه العارف من القوم معرفة الدرجات وقد يحصل لبعضهم الفتح بما اشتمل عليه البعض من تلك الدرجات بحسب ما لديه من الفهم عن الله بتعلم وبغير تعلم ومعرفة اصطلاح القوم فى استخراج تلك الدرجات ليس من الصعب ادراكه فقد قرره الشيخ الأكبر فى فتوحاته فلنرجع لتوضيح سر الدعوى من المفتوح عليهم فان مقاصدهم فى ذلك مختلفة فمنهم من لا دعوى له فيما يقول وإنما هو مبلغ لما أذن له فى التعبير عنه لينتفع به من ألهم الاعتقاد فيه ومنهم من يقصد التنفير بذلك عنه لينتفع بنفسه بدون شاغل يشغله عما هو بصدده ولا يمكنه كتم ما حصل عليه مما صرح ببعضه لتفريج غمة بشريته بحمل ثقل الأسرار أو امتثالا للاذن الصادر له ليقضى الله أمراً كان مفعولا بحرمان غير المعتقد فيه ونحو هذا مما يضيق به صدراً من لا معرفة له بأحوال أهل الله أو ينشرح به صدراً من ألهم الاعتقاد فيهم وهم قليل القليل والكثير من هذا القليل تحجبه أغراضه الشخصية التى يلقيها بين يدى المعتقد فيه أو يأمل التحصيل عليها منه أو بواسطته فهو بذلك مريد حاجة ينقضى عنه المدد بقضائها وربما انقطع عن المقصود فى طريق القوم بعدم انقضائها ولا تسأل عما فى هذا المقام من الامتحانات التى قلما فاز فيها المريد من الشيوخ بمراده وإن كانت السلامة متحققة للمريد ما دام فى الشيوخ على جميل اعتقاده وكم هناك من مكر خفى وطرد جلى لا سيما إذا تظاهر الولى بمظهر الدعوى وقيد على المريد المقال فيها

واضطرب الأمر فيها بما يقضى جوابه فيها بسقوط حقه فعندئذ تعظم مصيبة المريد ويصير مريدا بفتح الميم ولا ينفع فيه شيء من أى شيخ ولو كان هذا الشيخ لكل جموح مريضا بضم الميم لبيبا ولكل مريض بفتحها طبيباوها أنا أملى عليك ما يحتاج فى الصدر ويكون لك أن تحملت بمقتضاه شأن بين ذوى القدر فقلت لك أيها الوارد لهذه الموارد اصدع بما تؤمر فقال اسمع :

مرنى بما شئت لكن غير مختبر ... فاننى بالذى أخبرت ذو عبر
تجرى دموعى على خدى له أسفا ... ولم تفدنى فيما قد جرى عبرى
لولا انتشالك لى مما دهيت به ... سراً لأصبحت فى هم وفى غير
لكن تحققت أنى منك فى كنف ... قد صان نفسى من مستوجب الحذر
أمنت منى على نفسى وما أمنت ... منى بما منك قد احرزت من بشرى
بشرتها فاطمأنت وهى حاذرة ... مما قراه ولم أخرج عن القدر
والمكر يأمن منه من يحل به ... فالآمن منه غرور جاء مع غرر
فكيف تأمن من مكر يحيق بمن ... له دعاوى بها يمشى على خطر
ولى دعاو دواعى الفخر تحدثها ... وقد تحدث عنها غير مختبر
ومن يخالطنى قد كاد يعرفنى ... بما يشاهده منى من الخور
وما أنا بالذى يلفى الجميل سدى ... فلا يرانى لديه غير مبتدر
فآخذ القلب منه عن مجاملة ... له فيذعن لى من شدة الخفر
من شاء يستجلب الألباب بعمل ما ... عملت وليسع فيما يرضى للبشر
وإن يك الناس لا يرضيهم أحد ... بما يقوم به فما هناك برى
فليتهم نفسه أو ليتهم عرفوا ... براءة منه فيما فيه من درى

فرب شىء تراه منه وهو على ... خلاف ما قدتراه فى ذوى النظر
فظن خيرا بنا واختر لنفسك ما ... يحلو ودعنا من الانكار والنكر
فنحن قوم بدعوانا استقام لنا ... أمر قصدناه فى بدو وفى حضر
لولا الدعاوى التى منا قدانتشرت ... لما تميز منا الزيف فى الزمر
كم مدع لدعاو وهى تستره ... فى قومه عن مقام عنه لم يطر
قد استراح بما عنه ينفرهم ... به فلم يعتقده فيه من نفر
ومن يقدر له نفع على يده ... فليس يحجبه ما فيه من بطر
إن المطالب من أصحابها حجب ... عن الخصوصية المرفوعة الستر
وليس كالغرض الشخصى يمنع من ... مفازة الشخص فى المقصود بالظفر
لا تعرف الشيخ للأغراض فهى به ... ترمى لديه بأعراض إلى سقر
وماأتى لك عفوا منه فارض به ... ولا تخف بعدماترضيه من ضرر
ولا تزنه بميزان فتخسر ما ... ربحته بجميل الظن فى العمر
فالشيخ ليس بمعصوم لتصحبه ... بعصمة فتنال الفوز بالوطر

﴿شطح مفسر عن علم غريب معبر﴾
﴿وفيه ما فيه عند أولى الترشيد والتسفيه﴾

إعلم أن علم الحق تعالى لا يشابهه علم عالم بكسر اللام وغير محصور فى عالم بفتحها وكل عالم له معلومات متناهية ومعلوماته تعالى غير متناهية فالمعلومات حينئذ غير متناهية بالنسبة إليه وفى حد ذاتها منها القديم والحادث فان من جملة المعلومات ذات الحق وصفاته فهى قديمة لا تقبل التكوين ولا تتسلط القدرة عليها لأن القدرة متسلطة على ما يريده الحق تبعا طبق علمه لا طبق علم عالمه إلا ما كان من ذاته تعالى فهى نفس المراد

هنا حارت الأفكار فى حيطة العلم ... بما لم يصل يوما إليه ذوو الفهم
فمن حائر فيما أحاط بعلمه ... ومن حائر فيما يراد من العلم
فان تك ذات الحق معلومة له ... فهل من مراد الحق أولا بلا وهم
فقف لا تخض فى ذاته جل شأنه ... ودم هاهنا فى حيرة غير مغتم
وتنزيهه عما فهمت ولم تكن ... بنفسك فيما لست تعقله ترمى
فللحق علم قد أحاط بكنهه ... وعلمك محصور به صرت فى عدم
وإن لم تكن ذات الاله مرادة ... له فعجيب جرءة منك فى القوم
وإن قلت ما للذات ثم مرادها ... فقولك هذا ليس من قول ذى فهم

يقول الله تعالى إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلا تقل ذات الله ليس بشىء مع أنه تعالى شىء لا يشبهه شىء وقولك إنه شىء فهو سبحانه بنفسه لنفسه مراد وهو لنا غاية المراد فكيف يريد نفسه فاخرج من هذه الحيرة وارجع إلى قوله فيكون فلم لم يقل إذا أردناه كان . لعلك تقول المأمور من المراد تدريجى بترتيب بديع يكون بالأمر فى استقباله غير أن الأمر المنطبق عليه قول كن يقضى بتكوينه فى الحال ليكون الأمر على جانب عظيم من باهر القدرة المتسلطة على إيجاده فلعلك تقول المأمور مراد للحق وهو فى علمه كائن فما يكون منه فى الوجود الخارجى لا يكون إلا بارادة تكوينه فتكون عند ارادة إيجاده فى الوجود أو خروجه منه للعدم لا خروجه عن العلم فهو دائم فيه غير متحول عنه على أى حالة هو فهو معلوم قديم العلم ولو لا علم هذا المراد قبل خروجه للوجود بحيث لم يكن عالما بمعنى كن فى حضرة الغيب لم يمتثل الأمر الذى خوطب به من قول الحق تعالى

كن فمن مخاطبته بكن تحققنا كونه فى العلم عالما وأزيدك هنا فى تقرير
هذا المعنى الخطير ما أنشده لك فاسمع .

تحققت معنى كن لذاك بها كنت ... ولو لم أكن أدرى لما قد تكونت
أأجهل معنى ما امتثلت مخاطبى ... به وهو يدرى ما أنا فيه خوطبت
بلى كنت فى العلم المقدس عالما ... بعلم حقيقى ما به الآن قد فهت
فلا تعذلونى إن جهلتم مقالتى ... فانى أدرى بالذى لكم قلت
وحقكمو لو كنتمو تفهمون ما ... أبنت لأدنتم بما لكمو جئت
أبنت لكم عن حسن وجه حقيقة ... بها قبل كونى فى مقامى تعرفت
وبعد وجودى ازددت معرفة بها ... وربتما عنها لديكم تجاهلت
سقتنى بين القوم كأس مسرة ... سكرت بها فى حضرة سرها صنت
ولم أفش منها غير ما الغيرة اقتضت ... مؤاخذتى من لا يبوح بما بحت
عجبت لحال قد عرتنى عندها ... وكم من عجيب ما به قد تعجبت
فانى لم أملك لنفسى زمامها ... لتنقاد لى إن قدتها بين ما قدت
ولم أتخلف عن إجابة قول كن ... ولو أننى قد رمته ما تخلفت
أجيب بقهر فى حضورى وغيبتى ... لما يقتضيه الأمر منى ما عشت
وهب أننى فى ذاك ما كنت شاعرا ... ألم تر أطوارا بها قد تطورت
ودقات قلبى بل وما هو دونها ... على وفق ذاك الأمر كانت وما شئت
ولو شئت منى حبس ذلك لم يكن ... على وفق ما قد شئت فيما تيقنت
فكلى بأمر الله لا شك قائم ... وقولى له كن لى فما فيه قد خبت

ولو لا تحققه تعالى منا بعلم معنى كن ما قال لشىء كن ولا يقول كن
الا لقابل التكوين مما أراد إيجاده أو إعدامه وهو تعالى موجو

لايخاطب نفسه بكن فقابل التكوين كيف ما كان موجودا أو معدوما ليس من نفس القديم فى شىء إلا من حيثية كونه معلوما ومع كونه معلوما فعلمه موهوب له من الحق وما نحقق بأنه عالم قبل خطابه إلا بعد الخطاب فمخاطبة الحق له وهو فى العلم اكسبته علماً فى نفس ذلك العلم فعالم بنى آدم فى عالم يوم السبت لم يكن موجودا بالفعل وإنما هو فى العلم ومع كونه فى العلم فقد فهم معنى الخطاب لما فيه فأجاب بما به أجاب ولا يخاطب الحق إلا ما يقبل الخطاب لما فيه من فهم معنى ماخاطبه به وإلا كان الخطاب لمن لا يفهم وهو أعرفيه عند العقلاء مافيه وإن أردت زيادة بسط فى الموضوع فاسمع :

وجودنا عن وجود لا عن العدم ... فلتعتبر ما نقول غير متهم
وكيف تنفى وجودا أنت تعلمه ... إن كنت تجهله فاسكت ولا تلم
فى كوننا تدعرفنا الحق فابتهجت ... منا الصدور به ماذاك فى الحلم
كنا عرفناه فى تحقيق معرفة ... كما اعترفنا به فى سابق القدم
كنا ولم نك الا هكذا فبدا ... ماكان منا ولم يجهله غير عمى
فافتح عيونك ولاندفع غيونك عنـــك ما به ... تستنير سائر الظلم
فهذه الظلم اللاتى قطنت بها ... تكييفها لك فيك عنك منك نمى
لا كيف لاحين لاعين ولا أثر ... وليس سرك يا هذا بمكتتم
والشىء يخفى إذا تم الظهور له ... وأنت نفس الظهور كيف لم تدم
عجبت منك ومازاد التعجب لى ... إلا انبساطاً بماعرفت من حكم
جهلت نفسى فلم أدرك حقيقتها ... وما أنا غير نفسى كيف لم أهم
هل أنت تعذرنى أم انت تعذلنى ... وأنت فى الحالتين ناشر علمى

يسرني أن تسر ما أبوح به   لديك لا بل به بح لى ولا تلم
وان عرفت الذى عرفت منك فبح   بالسر للغير لا تخشى من اللمم
لا سر عندك مكتوم تسر به   ألم تسر الى ما نفى صممى
هل بعد معرفتى بسر قولى كن   ولم أكن حين كنت غير منعدم
سمعت أمر اله قد صرت ممتثلا   ولم أزل فى امتثال ثابت القدم
لو لم أكن عالما ماقد أمرت به   لما امتثلت ولم أخرج من العدم
لكننى كنت ذا علم ومعرفة   والعلم قد كنت فيه صاحب العلم
ولو تبجح لى فيما نطقت به   والفخر إن يك منى فهو من شيمى
ومن يكن عارفا مثلى بمقصده   ففخره من عظيم الشكر للنعم
لله حمدى وشكرى فهو الزمنى   بنظم در ثمين غير منتظم
نظمته فى عقود زاد رونقها   وقد علا قدرها فى السحر والقيم

فالمكون امتثل أمر مخاطبه بقول كن فكان وقد أضاف سبحانه التكوين الى ذلك الشىء المتكون دون أن يضيفه لقدرته تعالى لكون هذا المتكون قابلا للوجود وللعدم بمقتضى حقيقته الطالبة لذلك فاذا خاطب الحق شيئا بكن نظر ذلك الشىء الى حقيقته وما تقضى به عليه فيخرج من طور عدمه للوجود فى الصورة التى رآها من نفسه فى نفسه بعد أن يمهد له الحق زمانا ومكانا وهذا الزمان والمكان من جملة الممتثل لقول كن هو أيضا مراد بتمهيد المريد جل شأنه لما أراد بتدبير بديع الاتقان يصدق عليه هنا ليس فى الامكان أبدع مما كان وان أصغيت لما فسرناه لك فاسمع :

عجبت لنفسى حين خاطبها الحق   وليس لها فى الخلق من نفسها حق
فقال لها كن ثم كانت ولم تكن   مخالفة للامر وهو بها رفق

أمن نفسها كان التكون أو قضى ... تكونها من ليس يعجزه الخلق
نعم أذعنت للامر رغما للانفها ... وليس لها فى الخلق جمع ولا فرق
ولو لم تكن بالحق عارفة لما ... تجلى عليها من حقيقتها الحق
دعاها الى حمل الامانة بعدما ... أقرت بأن الحق مابعده حق
ولم يدعها بل لم تجب عن جهالة ... وإن كان فيها الجهل والظلم والحمق
أجل كل شيء كيف ما كان عاقلا ... وعادم عقل كان من تحت أو فوق
أجاب خطاب الحق فانقاد طائعا ... فلو لم يكن علم له فله حذق
وما هاهنا عقل يجول لعقله ... وليس لمعقول وان ينطلق سبق

﴿ شطح مدع لمقام بعد أن أطال فيه المقام ﴾

﴿ ولم يعبأ بملام . من ذوى الكلام ﴾

لقد كان لى نبأ عظيم فى مجلس محاضرة روحانية ويقظة عرفانية والشيخ الاكبر ابن العربى قدس سره أبو عذرها قد أجلى عروس معناها من خدرها والواسطة بيننا وبينه فى الترجمة القطب الشعرانى قدس الله سر الجميع وقد دارت علينا فى روض أنسه فى تلك الحضرة كؤس معرفة لم تكيفها صفة فاعرب لنا عن تكوين الكون وأغرب وأفشى لنا أسرارا يتعجب من سماعها من يتعجب وكتم مالا يفشى إلا لأهله وواعدنا بأن ينشر على مسامعنا دررا وينفى عنا بذلك ضررا فلم نتمالك من أنفسنا صبرا واقترحنا عليه أن يفيدنا من علمه فى ذلك مالم نحط به خبراً فلم نرمنه إلا رمزا لا ينحل بالتمنى ثم لاحت لنا بارقة خير نفت عنا الضير فاذا بأبى العباس فوضعنا نعاله منا على الرأس فلما رأى تواضعنا فى طلب العلم لله لم يبخل علينا بما آتاه الله فقال ياقوم اسمعوا منى فى هـذا

المقام هذا المقال واسجدوا لله واعبدوا فسجدنا للمولى ليجعلنا لقبول السر أهلا ولا يجعلنا لمن يبادرون بالانتقاد لما لم ينور به الحق لهم عقلا فكتبنا هنا مانقرط به للسامع أذنا وذلك أنه إذا ظهرت الحقيقة فى مظهرها و كان رائيها عارفا بما تقتضيه بنفسها لنفسها لم يمكنه إنكارها بل يستحسن مايراه من التأثر والانفعال المتجلى على من تجلت فيه بكمال الظهور وإذ ألبست حلة زور بتظاهرها فى غير مظهرها الحقيقى افتضح أمرها عند العارفين بها ولكن بقدر ما لهم من التمكن فى المعرفة لا يبادرون بالانكار بل يلتمسون لذلك مخارج من ضيق التكليف ولو بالتكلف الى سعـــة التعريف بها بما لهم من العلم بابداع صنع الحكيم الذى فتح به لهم منها باب التعرف فتقابلهم الحقيقة بعد ماتلبست بما تلبست به فى صورة حسنة بعد ماتجلت فى مجلاها الزورى بالتجلى الذى أظهرها فيه أحبت أم كرهت لأنها برزت للوجود او دخلت للعدم بماسمعته من الأمر الذى لم يسعها الأن تمتثله وهى دائما فى امتثال فليس فى الكون من المكونات إلا ماهو ممتثل مادامت الاعراض فى أطوارها مترادفة على ذات كل مخلوق فهى مطيعة بنفسها بشاهد قالتا أتينا طائعين وهذا ملحظ من ملاحظ العارف من أصحاب الاحوال المتحقق بمقام قوله تعالى اتينا كل نفس هداها وإقامتها دائما فى بساط قوله ألهمها فجورها وتقواها ونحو ذلك مما يفصح عن كون المكون المخلوق ملحوظا بعناية من مكونه عناية ماعليها من مزيد لديه بحيث لا يمكن خروج شيء عن مقتضاه ولا يمكن أن يكون مرادا للحق فى صورة تخالف ما برز فيه وتلبس به فى الوجود أو العدم إذ لا تتسلط القدرة عليه إلا بما

هو فيه فى أطواره التى قضت الارادة أن يكون عليها وجودا وعدما فكان منه ذلك على وفق علم الحق وطبق علم هذا المعلوم وكل شىء مكون أو قابل للتكوين معلوم للحق كما أن هذا الشىء كيف ما كان عالما بمعنى الخطاب الذى يخاطبه الحق به فما وجد فى الكون شىء غير مخاطب بقوله تعالى كن وما خوطب إلا وهو عالم بمعنى الخطاب فتكون طبق علمه بنفسه بما توجه إليه الخطاب به فهو متكون بنفسه بسر الأمر المتوجه إليه ومن عرف هذا المعنى لايمكن منه أن يكون منتقدا لشىء صدر من عارف إلا من كذبته شواهد الامتحان فيكون مدعيا لما يزداد به محنة فى خاصة نفسه حيث قضت الحكمة عليه أن يعمل بمقتضى (كل يعمل على شاكلته) مع كونه فيما يدعيه مسلوب الارادة مقهورا عليه فى هذا ونحوه وهو فى الحقيقة إنما عمل بما اقتضاه علمه الأول قبل دخوله فى هذا الهيكل وخروجه من ظلمة العمى إلى نور الوجود أو مخدع العدم وكل مقام أو حال تظاهر فيه العارف إلا وهو يترقى فيه ترقى معرفة بالله حتى أنه لو ادعى دعاوى فى نظر المنتقد عليه غير صحيحة فهى فى الحقيقة صحيحة بالنظر للوجه الذى نظرها به هذا العارف به فمرآة الأشياء التى ينطبع فيها كل شىء دائما منتصبة أمامه يرى حقيقة ما ادعاه متجليا فيها فالدعوى وإن كانت عريضة من قلوب مريضة لم تظهر بغير حلة الحقيقة لديه فهى كما قررناه متكونة سواء كانت من قبيل الأعراض أو الجوهر والمنتقد وإن كان أيضا تظاهر بمظهر حقيقته فهو أيضا فى منزلة الممتحن ولا يتحقق امتحانه إلا من عرف معنى الكسب الذى هو نظر السنى العارف بمقتضى حكمة الحق

على لسان المشرع عليه السلام فى معاملة العبد بالعدل أو الفضل وماربك بظلام للعبيد فما أنكر شيئا على العارفين إلا غير عارف بمقاصدهم لكون العارف يغرف من عين الحقيقة التى يغرف منها صاحب علم الظاهر بواسطة غيره ولم يصل إلى أن يغرف منها بلا واسطة لأنه قصير الباع وإن تطاول بما حصل عليه من منقول ومعقول وفى هذا المقام قد اختلفت ملاحظ العارفين الجلاليين والجماليين فلا يتأثر بالانكار عليهم إلا القليل منهم فهم وإن كانو على بصيرة من هذا كله وأكثر منه لكن شفقتهم اقتضت أن ينبهوا على وخامة الانكار غاضين البصر عما تقتضيه الحقيقة التى عمل بمقتضاها المنكر فهم يرشدونه للكسب والعمل به وتديقضى الحال على بعضهم بالتلذذ بانكار المنكرين عليه ولكل وجهة هو موليوجهه إليها ليزداد بذلك تعرفا للخالق بالحق أو الخروج عما تقيدوا به حتى يتفرغ لما هو بصدده بين الخلق وللمعرفة بالله مشارب وكل عارف بالله على قدر ما تحمله آنيته منها شارب وإن تشوفت نفسك إلى ما صدر من بعضهم فى هذا المجال فها أنا أنشدك هنا بارتجال فألق بالك إليه واسمع :

ها أناذا اسقى كؤس المدام واروعنى حديث أهل الغرام
وإذا ما صحوت من بعد سكرى فعلى مسمعى أعيدلى كلامى
ربما أستفيد منه أموراً هى عندى بلا مرا من مرامى
واعتقد أننى أباعد نفسى عن فضول الكلام خوف الملام
وإذا ما دهتنى حال فانى لا أبالى بصدمة فى اصطلام
سيما إن يبلبل البال سكرى هاج والعقل طائش بهيام

فبسكرى أنا صريع مقالى وبصحوى أنا رفيع مقامى
كل من يدعى بدعوى فانى ذو دعاو محتفة باحترام
فاذا قيدو على مقالا فجوابى لهم يرد خصامى
والدعاوى لا تنقضى من ذويها وذووها تراهمو فى ترامى
والدواعى قد أبدعتها الدواعى والدواعى تطول طول الدوام
ومن اعتادها فليس له عنـ ـها خروج حتى ولو فى المنام
فهى للشخص محنة ولشخص منحة لم يزل بها فى اهتمام
يتسلى بها ودعواه حق ليس فيها لديه غير اتهامى
واتهامى له وحق التهامى لم يكن غير غيرة للمقام
ولو انى أطلت حبل الدعاوى فالدعاوى بها بلغت مرامى
يالقومى و القلب منى مفتو ن وجمع المفتين فيهم أمامى
قدمونى وكنت فيهم وراء فاذابى من بينهم فى الامام
هل على من قد قدمته الموالى من ملام لدى جميع الكرام
قدموه وكان أهلا ولكن لم يزل بينهم عظيم احترام
ودعوه لأن يقوم خطيبا ينثر الدر بينهم من نظام
قال والقوم ساكتون وكل للذى قال طأطؤا بالهام
أنتمو كلكم بقلبى سكنتم وبكم قد سكنت بعد اضطرام
هل علمتم بأنكم أنتمو منـ ـنى ومنكم أنا مدى الأيام
ها أنا أنتمو بكل اعتبار ما بهذا تجاهل أو تعام
أنا مرآتكم تجليت فيها كاشفا فى حقيقتى عن لثامى
ها أنا ذا وأنتمو فى اتحاد فيه ربط الأرواح بالأجسام

كلنا ما رآى سواه ولكن كم مسمى منا لديه أسامى
فالأسامى تعدد والمسمى واحد قد سما عن الانقسام
قد شهدنا بما نشاهده منـــا جميعا فى حضرة الا كرام
قد رأينا جميل وجه تبدى بيننا للجميع مجلى الظلام
كنت عينا لكم وعينى أنتم من ورائى أرا كمو وأمامى
هل أنا فى الذى أقول مصيب أو أنا بالخطا مصاب السهام
إنكم فى محسنون ظنونا ولبعض الظنون كل أثام
وبسوء الظنون يستفحل الانـــكار من أهله بغير احتشام
فلتقولوا للمنكرين أفيقوا من سبات الجهل الوضيع المقام
واعرفوا ما نقول حتى إذا ما قد عرفتم أعرضتمو عن ملامى

﴿ شطح قاض عزمه ماض ﴾
﴿ طاش عقله فتم فضله ﴾

بعد تقرير ما تقدم مما يناسبه أو يزيده وضوحا ليعلم صعدت على سلم نصب لى فى الخيال فأشرفت على جمع فى مقام علا منهم فيه المقال ورجل مثلى حتى فيما انطوى عليه سرى جاس على كرسى القضاء و بين بين خصمين يختصمان يتحدان فى ذات تارة وطورا يفترقان ولدى القاضى يدخلان فيه ويخرجان وهو يفصل بينهما ويزيل بينهما ورمت أن أكون من جملتهم وإن لم أكن أنا إياهم فخاطبت منهم من رام الخصام و وجهت له الكلام وجرى فى الحال ما أمليه عليك حيث قلت له اسمع :

قيد مقالك واحصر لى دعاويك واجمع خصومك حتى لا أعانيك
فلا أجيبك شرعا قبل ذاك وهل تنال من بعده منى تمنيك

هيهات إن تبلغ المأمول عن عجل وأنت لم تمتثل أمراً لقاضيك
إني لأتقن مما في التروغ ما به تروع من يسعوا مساعيك
ولا أبالي بما المفتون زخرفه جميعهم لك يامفتون مافيك
أفتوك أو فتنتك النفس منك فما على إن كنت مأموناً بواديك
وماعلى إذا ماصرت مالك ما لك الذى صانه جميع أهليك
وفي التصرف فيه الوقت ساعدني وصاحب الوقت يستهوى المماليك
إني لأنصحك استبدل مخاصمتي بالصلح تبلغ بها منى أمانيك
فكم نصحت امرأ كانت نصيحته فرضا فصار بها عندى يساويك
متى عملت بنصحى صرت معتقدا فيمن لأجلهمو أنا مواليك
لاتنتقد واعتقد ماليس يبلغه في القوم عقلك ماليس يرضيك
ولتتهم منك نفسا تدعى علماً بلوغ معرفة فيها يضاهيك
أأنت تعلم كل العلم بين ذوى علم ولم تلق فيه من يحاكيك
نعم بنفسك فيه كنت ذا ثقة فانظر إلى من علا عليا معاليك
تجد كثيراً من الأعلام قد نشروا أعلام علم به يقوى معاديك
بل أنت صرت له خصما بلا سبب يرى ولولا الهوى لكان هاديك
سل عنك نفسك لا تسال سواك عن الـــذى تعانى يجبك بالذى فيك
تقول إنك قد حملتها ثقلا وكنت في راحة مما يعنيك
فلتجتنب كل مايدعوا الفضول له ولتشتغل بالذى في الحق يعنيك
وقف قليلا هنا حتى ترى عجبا منى لعلك تنجو من مهاويك
هاأنت فانظر إلى من كان قبلك من من كان أعلم منك في تناهيك
وانظر إلى من سيأتى بعد عصرك هل تراك أعلم منه بين أهليك

والكل أعلم منك كيف قمت على … من فى زمانك تبدى الشر من فيك
مافيك تظهره من فيك واعجباً … مما به قمت فازدادت مساويك
فارجع الى الله واترك أهل حضرته … عساه سبحانه للخير يهديك
فلا يضرك شيء أنت تاركه … مفوضاً فيه للذى يكافيك
خذها نصيحة من أصبحت مؤذيه … ولم تشاهد أموراً منه تؤذيك

فوقعت هذه النصيحة من المنكر أى موقع وأذعن إلى ما أنشدته له فى هذا الموضع والقوم جلوس مطأطئين للرؤوس ولما سمع الجميع ما ألقى إليه السمع هاجت منهم القريحة وقاموا فى صعيد واحد وقالوا ما أترجمه لك بقولى فافتح اذنك عن إذنى واسمع :

قرأنا من العلم اللدنى سطورا … وفى كل سطر ما أنار صدورا
بخط عرفناه بغير تعلم … ويارب رمز فيه زاد ظهورا
ويعرفه منا الجهول بظاهر … ومن هو أمى منه يقبس نورا
ولا يدعى علما ولو كان عالما … ولو أنه فى العلم فاق بدورا
يرى العلم بحراواسعا لم يحط به … ولو أنه قد خاض فيه دهورا
روايته عنا بها الحكمة انجلت … لمن يطلب التجر الذى لن يبورا
يعمر سوق العلم بين عوالم … به ربحوا ما فيه نالوا سرورا
ونقرؤها طردا وعكسا وسرها … على لوحها المحفوظ. ألقى ستورا
وما غيرنا من غيرة الحق تنجلى … له وعليها لن يزال غيورا
فليس يراها الغير إن لم يكن لها … بأهل واوشادت لديه قصورا
لنا قد تجلت فى مجالى حقيقة … تعد عروسا لاتحب سفورا
فبانت لنا من حضرة الغيب بعدما … فقدنا بها قبل الشهود شعورا

فعارفنا فى حيرة لم يزل بها وكم عالم منا أرته نفورا

دعوناه فاقرأ ماقرأناه واشدا وما زاده الايضاح إلا نكورا

فوا أسفاه لم يصل لمراده وفى جمعنا بالعلم صار فخورا

وعنه نغض الطرف حيث يجول فى مجال مجالينا وقد صار بورا

ومن كان فينا مخلص الود عندنا فليس لآلاء الاله كفـــورا

فآخذ منه باليدين ليرتقى باوج العلى إن كان ذاك شكورا

نعرفه بالحق حقا ولم نكن نعادى معـادينا لنخفى أمورا

يخوض بنا منا بحور معارف ويخرج منها مايزين نحورا

فيصبح مشغوفا بما هو ناله ويغدو به فيه يخوض بحورا

ولو لم تلاحظه العناية مادرى حقيقته حتى تجسد نورا

ومن لم يكن من حزبنا لايهمنا ولو أنه أبدى التنكير دهورا

وإنا وإياه على جانب هوى ولـكن هو انا فيه نلنا برورا

وبعد انشاد ماأنشأه الجمع مما قرطوا به من الحاضرين السمع قام زعيم القوم بعد النوم وبجانبه من أفاقه من كراه وقد ظن أنه فاقه فيما فى تلك الحضرة رآه ولم تكن إلا نفسه التى بين جنبيه فأنشدها وهو يمسح من منامه عينيه ماإن شئت أن تسمعه فها أناذا أمليه عليك فاسمع :

أنا وأنت معى أصبحت فى تعب ندع ملاما به قد زدت فى كربى

ماضر لو كنت فى مسرة وأنا فى حيرة فأنا بها أخو طرب

لا اللوم يجديك نفعا إن ضجرت به ولا أنا إن طربت انت تلعب بى

فاصبر كما قد صبرت أنت عن عزلى بين الملا وأنا عن سائر النوب

فلست أرجع عن دينى ومعتقدى وأنت منتقد على لم تصب

فهاك ذق من شرابى كأس معرفة ... حتى إذا ما عرفت صرت ذا أدب
سل عنك أهل وداد كيف بى وبما ... تبدى اليهم وما أبديء من عجب
يخبروك بأنى لست ملتفتا ... لما وراء الذى لفقت من كذب
وما أنا بالذى يخفى الحقائق عن ... من يستحق بان أبدى له طلبى
وما أنا غارف من بحر معرفتى ... ماقد كفانى علمى وعن نشبى
حتى إذ ما اكتفيت زادنى نهم ... وليس يشبع مثلى بالمراد حبى
لافخر لى بالذى يكون مفخرة ... بودا لغيرى إن لم ترتفع حجبى
حتى أري من يرانى طبق معتقدى ... وذاك ما أتمناه مدى الحقب
وان يعرنى طرفا منه أنظره ... به فلا غرو إن ورثت خير نبى
لا أدعى لى مزايا لست أحصرها ... لطالبيها بما أمليه من كتب
هب أننى كان لى إذن لا أذكرها ... فلست أحصر مالى منذ كنت صبى
هذا ولا فخر فيما قلتـــه لهوى ... إذ صاحب الفخر لا ينفك فى حجب
لى أسوة بالنبى فيما شكرت به ... ربى و شكرى له مبلغى أربى
ربى اكفنى شر نفسى فهى قائدتى ... لغير فائدة يحلى بها تعبى
قد أدخلتنى من باب الفضول إلى ... رحب الهوى وبه لم أحظ بالطلب
أكفها وهى لا تنكف عن زلل ... ياويح نفسى إن ماتت ولم أتب

﴿ شطح ناصح فى طريق واضح ﴾

﴿أقصر الخطى فى الخطاب وفرق بين الخطأ والصواب ﴾

إذا كان للشخص أنفاس متناهية وهو يصرف منها كل يوم من عمره عدداً لا يستهان به حتى يأتى على آخر نفس منها فى طاعة أو معصية كيف يليق به أن يضيعها فى لا طائل وهو يعد نفسه من النوع العاقل فلو

كان يحاسب نفسه على انفاسه فى أى شىء صرفت وبأى حالة بها اتصفت لرأى واعظا من نفسه فى معناه وحسه يزجره عن إضاعة ماهو أنفس من المال ويأمره باكتساب الخير الذى ينتفع به فى الحال والمآل من غير أن يبعث له رسول لاسيما وهو مرسل اليه من نفسه بما يدخل به لحضرة الوصول فالسعادة فى الاقتداء به وخسران الدنيا والآخرة فى مخالفته فيما أرشد اليه من معاملة الحق والخلق وباتباعه تتحقق محبته ولا صحة للمحبة بدون اتباع عند من تشرع ونحن نقول بالانتفاع بها اذا كانت عن عاطفة باطنية بدليل (المرء مع من أحب) وأنت مع من أحببت وانما تحصل محبة الله للعبد باتباعه فمن ادعى محبة الله بدون اتباعه فقد افترى بمقتضى (قل إن كنتم تحبون الله) ولم يقل تحبونى ولا يمكن صحة محبة الله للعبد بدون محبة هذا الرسول عليه السلام فاتباعه مطلوب لتحقق محبة العبد لمولاه أما تحقق محبة الحق لعبده المخلوق فبمقتضى محبته أوجده ولا يمكن أن يوجد سبحانه مالا يحبه غير أن الحق سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والمحبة فى هذا المقام نسبية وتحقيق المقال فيها يحتاج الى معرفة ما يناسب المنسوبة اليه ونحن لا نعرف حقيقتها فى جانب الحق وإنا نقضى بمحبته لخلقه بإيجادهم واعدامهم وبقدر تعرف العبد لمولاه تظهر نتيجة محبته له وقد استخلف الحق كل عبد من عبيده على ماتطلبه حقيقة ذلك العبد من نفسه التى لولاها ما كان ذلك العبد فحقيقة العبد مرآة هيكله فى سائر أطواره وأدوارها فهى المتشكلة فيه بما هى عليه فى سابق العلم الذى لا يتبدل ولا تخرج المعلومات المتعلق بها فى الايجاد والاعدام عن السابقية فالعبد بنفسه حاكم على نفسه بما تقتضيه حقيقته

منه وهو محكوم عليه بها وهل الحكم منها أو من غيرها . ﴿الجواب﴾ يظهر للعارف بما قضاه الحق وهو من سر القدر لا يباح ذكره ولا ينبغي أن يصرح غير الشاطح هنا بأكثر من أن حقيقة العبد معلومة والقاضى هو الحق بجميع ما يوجد أو يعدم هو فى نفس الحقيقة من نفسها بتقدير البديع والا كانت الحقيقة أزلية ولا يمكن أن تكون غير أزلية بالنظر للعلم الا ما خرج للوجود أو دخل للعدم فهو حادث ليس من القديم فى شيء ولو عند من يقول بحوادث لا أول لها من الفلاسفة الا من غلط منهم مع اعترافه بحدوثها إلا إذا كان يعترف بقدمها بمعنى سبقيتها بالزمان أو المكان فى نقطها السالفة بحيث لم يرد بكون شيء منها أزليا فيكون حدوثها بهذا المعنى مخالفا لمقصوده ولا شيء من العالم بقديم عندنا الا من حيثية كونه معلوما كما قررناه وكررناه وهنا كانت الحقائق عارفة بملهمها وعالمها للاعتراف بربوبيته ولما تعانقت الأرواح بالاشباح حصل فيما بين الجانبين إتصال تام بحيث قد اشتبه على الروح أمرها فادعت أنها نفس الهيكل الذى اقترنت به والهيكل يزعم أنه هى فقام كل واحد منهما ينسب مع الأخر الحلول والاتحاد وأنه هو هى وهى هو وليس هذا الحلول والاتحاد بمنكر عند العارف بالمقصود به فى كل واحد منهما لأن الحق منزه عن هذا ولا يقصد العارف بنحو قول الشاطح (أنا من أهوى ومن أهوى أنا) الا هذا المعنى مع مراعاة الحقيقة والحقيقة ليست هى نفس الخالق جل شأنه وقد يتحقق العارف بالفرق حتى انه يقدر أن يتجرد عن هيكله فيعمل بما لا يعمله باستعانته بالهيكل ويتحقق كل واحد من العقلاء بأن النفس غير الهيكل

بخروجها منه وتركه الترك الكلى الى يوم البعث والنشور وقد يتخذ بعض العارفين من أنفسهم خليلا له فيتعاون معه على مافيه رضامولاه وقد صرح ببلبل القريحة بين أفنان روضة الأنس بالحق والتعرف به مما إن شئت سمعه فاستحضر بالك لما أملاه علينا واسمع :

لو كنت متخذا فى الحب من أحد لكنت متحدا معى إلى الأبد
وما اتخذت سواك لى أحدثه بما تلقيته من حضرة الأحد
فأكشف الستر عن سر ظفرت به إليك لا لسواك غيره نقد
قد طالما قد كتمته فكنت به متعوب فكر بما يجرى على خلدى
حتى تحققت أن السر ليس لمن له اطلاع عليه شده بيد
يشد كفا عليه وهو يفضحه بذلك الشد وهو منه فى كمد
وإن يصرح به يرتح ويحظ بما أراد من ستره حتى عن الولد
فالسر ليس بسر إن نطقت به وان نطقت به لم تخش من أحد
ماجاوز اثنين يوما لا يقال له سر فأحرى إذا ماشاع فى عدد
فالناس ما ملكوه هان عندهم واستبدلوا مالديهم جيد بردى
ولا يهمك منهم من يلومك فى نفع العموم وماتسديه من مدد
هل أنت عندك من سر لتنفعنى به وتنعش منى الروح فى جسدى
وإن تمل لى كل الميل أمل أنا عليك ماليس يملى فى ذوى الرشد
فاسمع وإن لم تجد لى بالمنى فلقد أردت أورد ما عليك لم ترد
فنحن شخصان نحنو بالرءوس الى أهل الخيانة من موحدى الأحد
وها أنا أنت لا بل أنت تعرفنى أنا وأعرف منك صولة الأسد
فان علينا تصل فلم تصل وإذا واصلت حبالك مع حبالنا تسد

فارجع بحق الى نفس الحقيقة هل خالفتها لا تقل هذا إلى أحد
وإن تقل فاعترف بالحق وارض بما قضى عليك به حقا إلى الأبد

ثم بعد انشاده لما سمعت ومالك هنا جمعت استلفت الأنظار بغنة أخرى لم تكن بتغريد الأطيار فأملى على أبياتا لا أشك فى أنك تحب أن تسمعها وها أنا أنشدها لك فاسمع :

بمالك عندى من ودادو من حب وما يقتضيه الحب فى العبد القرب
وما أنت موصوف به فى ذوى الصفا بحسن وفاء بالعهود لذى حب
أقم لى أعذارا لديك لما ترى لدى من العيب المؤدى الى العتب
ولا تهتك الستر الذى كان بيننا فانك ذو فتح وإنى ذو حجب
فصرت ترى منى أمورا استرتها فتظهرها لى وفق ماهى فى قلبى
ويزداد كتمانى لها فتزيدنى شعوراً بها والقلب منى فى كرب
ولم أكتفى حتى تصرح لى بها وألفيك فيها حاضرا اقام بالجنب
أأفعل مكروها وأنت بجانبى ترانى وعينى قد تراك على قرب
فتضرب سوطا بعد سوط على يدى لدى بسطها فيما يطير به لبى
كأنك بى ما كنت إلا مكلفا اتنظر فى نفسى وتنظر فى كسبى
لى الله حتى لا أرى متجرئا لديك على أمر يعد من الذنب
فماذا تراه إن جحدت ولم أكن بذى عصمة بين البرية فارفق بى
فلست بمعصوم اتقصر بى الخطى بكل خطا والله سبحانه حسبى
وأرجوه فى غفران ذنبى فانه هو الله ربى جل ربى من رب
فسله معى حتى نرى وجهه الذى إليه أنا وجهت وجهى مدى الحقب
ويقبلنى قطعا على أى حالة أكون عليها وهو يغفر لى ذنبى

ولم اتكل إلا عليه وإننى توسلت فى سرى له بالنبى العربى
نبى أتانا مرشداً بشريعة حنيفية من حسنها للنهى تسبى
وكل طريق دونها لم يصل بها إلى الحق من يبغى الوصول إلى الرب
عليه صلاة لم يزل فى تواصل بها معنا حتى نقول له حسبى
وتشمل طول الدهر فى الناس آله واتباعه فى ضمنهم سائر الصحب

وبعد كتب ما تقدم صاحب لواء الشكر فى هذا البساط وتقدم وأنشد يقول هنا مستلفتاً للانظار من الخلق ليقوموا بشكر الحق ولم يكن منه ذلك على وجه التبجح ولم يعتره عند إنشاده تنحنح وإن شئت أن تسمع ما أرتجله فاسمع :

لبست لدى البأس خير لبوس فأذعنت الناس لى بالرؤوس
فكم عارف بى نال المنى وكم شارب بى خير كؤوس
فهـذا تعربده قد أبحـت وهذا يطالع عندى طروسى
فيقرا اوحى وما خطه لى القلم المسعفى فى دروسى
وأفتح عينيـه فى باطن وفى باطل لم يكن بعبوس
يرى ما أراه بخير انتقا بغير انتقاد بطيب النفوس
يرى ما أراه بعين الرضا وعين الرضا لا ترى من نحوس
فلا شر فى أحد عندها ولا أحد عندها رهن بوس
فكل الخلائق فى نعمة وكل تتوج تاج العروس
تقلب فى نعم ظاهرا وفى باطن يانعات الغروس
فمن ذا الذى يدعى حصرها ولو دام يحسبها فى الطروس
وشاكرها فى عنده فى ازديا د وكافرها دائما فى بؤس

سيفقدها حين يحتاجها ولو دخلت منه تحت الضروس
وناهيك بالشكر فهو به يحوط الفتى نعما من دروس
فتبقى لديه محوطاً بها كما حاطها الشكر من كل بوس
لتبن على الشكر دون قصو ر قصورك فهو أصح الأسوس
فما انهد شيء عليه بنى ولو حفروه بكل الفؤوس

﴿شطح عالم متصوف للفتح متشوف﴾
﴿وهو فى الحقيقة عارف من بحر المعرفة غارف﴾
﴿غير أنه شارح لما هو واضح﴾

إذا ألقى العارف نظرة إلى عالم تكوينه بما مكنه الحق به من المعرفة به رأى حقيقته فى سابق العلم قد ظهرت فى رونقها البديع من غير أن يخرج عنها قيد شبر ولا أقل من رمشة عين ولا أقل من ذلك وهو فى جميع أطواره العرضية وأطواره الذاتية نفس تلك الحقيقة التى لا تتبدل ولا يمكن أن تتسلط القدرة فى تبديل تلك الحقيقة بحقيقة أخرى لكون تلك الحقيقة جرت فى العلم القديم من غير أن تحدث فيه ولا أن تنمحى منه كيف لا والعلم غير حادث وإن كان وجود المعلوم بالفعل حادثا فالعلم به قديم خرج على وفق ما هو معلوم للحق فليس فى إمكان القدرة أبدع مما جرى به العلم فى كل شيء شيء وهذا الذى قررناه هنا هو ما عبر عنه الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه حيث يقول ليس فى الامكان ابدع مما كان وهى إحدى المقالات التى تعد من شطحاته بلا رعونة نفس لأنه قالها وهو فى حال السلوك الذى لا جذب معه فيه وهو الذى يقول بعد هذه المقالة:

(تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى تصحيح أول منزل)

يقول بعد تحصيلى لعلم الظاهر أعرضت عنه إلى تصحيح علم الباطن وليس مقصوده ترك الشريعة وراء ظهره وإلا عد ذلك شطحاً . أو يقول لما عرفت معاملة الخلق رجعت إلى تصحيح معاملة الحق . او يقول لما بلغت النهاية فى العلم وجدت نفسى فى البداية لكون العلم دائرة آخرها أولها ، أو يقول لما عرفت ظواهر الأمور رجعت إلى تصحيح حقائقها ، أو يقول لما عرفت المخلوق رجعت إلى معرفة الخالق أو يقول لما كنت محجوبا ببشريتى رجعت إلى معرفة روحانيتى ، أو يقول لما كنت مشغولا بما عاقنى عن معرفة حقيقتى رجعت اليها فتعرفت للحق بالاعراض عن الخلق فأول منزل نزله المخلوق خروجه من العلم لخير الفعل ولا يعد العارف العلم القديم منزلا أولياً لأن المخلوق لازال فيه على ماهو عليه والعلم لا يتبدل والمعلوم لا يتحول والأطوار البارز فيها المخلوق لا تتعدى حقيقتها فيه وباعتبار الاشتقاق لا علم إلا بمعلوم ولا معلوم إلا بالعلم وعلم الحق ذاتى مخالف لما يقضى به العقل ولا يتجرأ على القول بكون المعلوم المخلوق له معلومات قبل وجوده إلا من شطح بما ينكره من يسارع بالهجوم على الحقائق بقشور العلوم فى مدارك الفهوم ولما رأى أبو حامد أن وراء ما لديه من العلوم منازل عالية المدارك رجع إلى تصحيح أول منزل منها فترك هوى ليلى وماضاهاها من المحبوبات مما تتعشقه النفوس مع أنه فى مقام تذعن له الرؤوس فهو هنا تارك حظ نفسه لا ما تطالبه به ليلاه وسعداه فكان إعراضه عن هواه هو لا عن حال محبوبتيه ولا عن هواهما ومبتغاهما وإلا عد شاطحا وإن كان الهوى الذى تركه يشمل حتى ما كان من جهة هاتين المحبوبتين

فتدارك الحاصل له بقوله

(فنادتنى الاطلال مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل)

يقول لما تركت هواى القاضى على بالوقوف بمقتضاه والعمل بما لا يمكن للهاوى أن يتعداه بل تركت ما تهواه المحبوبة وما تطلبه فى المناصب المنصوبة نادتنى هذه المكونات بأنها منازل من أهوى مع أنى تركت الهوى فاستنزلتنى لأنزل بالمنزل الذى عدت الى تصحيحه حتى أقف على الحقيقة وفى هذا المنزل ألقى نظرة اجمالية الى المكونات فرآها نفس الحقائق ولا خروج لشىء عن حقيقته فكان قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان من نتائج تصحيح أول المنزل المطلوب لديه فالمكونات الموجودة والتى دخلت فى حيز العدم بعد الوجود كلها أطلال تدل على الحقيقة الحقية التى برزت فى الصور الخلقية ولا يمكن أن يخرج شىء منها عن حقيقته بحيث لو كشف للعاصى عن حقيقته لرأى حقيقته هى القاضية عليه بما هو فيه من أصغر العاصين الى أكبر الكافرين وهكذا بقية الاشياء مما له روح وما لا روح له فجميعها دوال على الحقائق عند العارف والحقائق نفس ما برزت فيه ونفس من نفس أم الكتاب وما وجد أو انعدم من الموجودات من ذلك كله من نفس اللوح المحفوظ. فالعارف يرى اللوح المحفوظ هو نفسها وقبل بروزها كانت هى فى مخدع أم الكتاب المستودع عند الحق والحقيقة متجلية فيه بلا تغير أزلا وأبدا لكونها تابعة للعلم ولما استلفت الغزالى رضى الله عنه بكليته الى تلك الاطلال التى هى نفس الأكوان بعد ما نادته وتحقق بأن ما نبهته عليه من نفس مقصده قال مخبراً عن نفسه

(فرست فى دار الندا بعزيمة قلوب ذوى التعريف عنها بمعزل)

ومقصوده تنبيه العارف مثله بكونه كان بمعزل عما انكشفت الحجب فيه عنه وإن أهل التعريف الذين هم من أهل التحقيق بالعلم الصحيح فى غفلة عن الحقيقة التى ظهرت له حين تحققت منه صدق الوجهة وأقبل عليها بقلب وقالب وعزيمة قوية فى الدار التى حط فيها مطاياه بعد طول عناه فيما كان تحمله من العلوم التى كانت تحجبه عن الانفراد بما استراح به مما قضى عليه بأن يشكر هذه النعمة بكسر المغزل الذى كان يغزل به الغزل الذى لم ينسج غيره به نحو ما نسجه فلم يعلق بعد ذلك ميزانه على أحد فقال ..

(غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد لغزلى نساجاً فكسرت مغزلى)

فطرح الآلة التى كانت بيده ولم يبق له إلا الاستسلام للحقيقة وما تطلبه من نفسه لنفسها فهو بذلك سالك مجذوب لم يعبأ بما قضى به الشطح الموجب للانكار عليه وليس ذلك عن رعونة نفس أو حظ لها فيه بل ذلك عن معرفة بالله قد تمكن فى مقامها بطرح الحمل الثقيل وهذا من مسالك العارفين الواصلين للحق من أبواب متفرقة فى الظاهر وهى فى الباطن باب واحد وقد صدح بلبلى بالبال عند ما اعتراه بهذا العلم حال فأنشد ما أن تشوفت لسماعه فاسمع ..

من كل ناحية سلكت سبيلا حتى وصلتك بعد قال وقيلا
وعرفت منك معارفاجلت وما غرف السوى منه أراه قليلا
لى جولة وحدى بميدانى وما لى قد تجلى فيه كان جليلا
وأغرت فيه بغيرة ـــنى على قصب السباق وصبر غيرى عيلا
كنت المبرز فيه وحدى عادلا عن عاذلى وعدت فيه عديلا

شاهدت ما غيرى يدندن حوله وعدمت فيما قد حويت مثيلا
توجت تاج الفخر من تيجانه ومع التجانى قد سلكت سبيلا
هذا السبيل به ظفرت ببغيتى حينا ولست به أحب بديلا
لما انفردت به عرفت حقيقتى فى جلوة فيها أقمت طويلا
ما احتجت فيما قد بلغت لخلوة فيها لتربيتى حملت ثقيلا
ولقد تجلت لى الحقائق فى مظا هرها ولم أحتج لها تأويلا
ناديتها فأجابنى من حسنها محيى القلوب وكنت قبل عليلا
لى فى حماه مسامرات جمعها أمسى يرى حال المساء حفيلا
إن تبغ أن ألقى إليك معارفا وأقيمها لك فى السلوك دليلا
فاسمع لما يلقى عليك ولا تكن تبد النكير وتحمد التضليلا
الحق حق والأباطيل انجلى عنها الغبار ولم يدع تدجيلا
أنظر لنفسك واعترف بالعجز عن إدراكها وهناك كنت نبيلا
ما هى نفسك هل عرفت بأنها هى أنت أولا فاضرب التمثيلا
فاذا عرفت مثال نفسك وهو كالتمثال منه لك اتخذت مقيلا
لا شك تهرب فيك منك وربما لك لم تجد مما احتملت مقيلا
فتقيل فى ظل العناية كاشفاً عنك لعناء ولا تكون دخيلا
ولأنت عنك عجزت فى معناك لم لم تلق نفسك فى حماه ذليلا
لك كبرياء بها حجبت فلم يكن لك منك من تختار فيك خليلا
فلتتخذ منك الخليل بخلة يختالها المختال عد جليلا
وأقم لربك منك حسن أدلة حتى تكون اديه أنت دليلا
فهناك تشهد ما أقول أنا وما لى فى أنانيتى سواى كفيلا

إنى لأعرف من أنا وأنا الذى | لا أصطنى ما خالف التنزيلا
طورا على طور السناء وأرتقى | عمن درى التوراة والانجيلا
ولدى بالفرقان فهم زبوره | عنى مرتل آيتى ترتيلا
هذى الحقيقة قد كشفت لثامها | وأنا أقبل وجهها تقبيلا
وإذا الحقيقة أسفرت عن وجهها | يوما لعبد لم يخف تنكيلا
تبدو له فى نفسه من نفسه | منا وما عنها يرى تحويلا
هو عينها لا غيرها فى ظاهر | وبباطن ما بدلت تبديلا
ما كان شىء غير ما هو كائن | فانظر للوحك تعرف التفصيلا
أنت المفصل منك فيك ولم تكن | ممن يرى لوجوده التعليلا
أفأنت نفسك قل نعم لا لا نعم | لا بل نعم لتقول أقوم قيلا
من قال قول الحق لم يحفل بمن | قد سولوا لنفوسهم تسويلا
دعت الحقيقة أن يكونوا طبقها | فاذا همو هى شكلوا تشكيلا
عجبا وما عجبى سوى لحقيقتى | وتعجبى منها أراه قليلا
أعلمت قبل تكونى أم عنده | أو بعده ما زادنى تبجيلا
هب أننى قبل التكون كنته | هذا لعمرك زادنى تهويلا
والعلم فى حق العليم علمته | وأنا جهول لا أرى التجهيلا
فاصبر قليلا يا عجول ولا تكن | فى مثل قولى تنهج التعجيلا
وعلى الذى قد قلت عول ولا تكن | مستكثرا إن لم تصله عويلا

وبعد ما أنشد هذه الأبيات بارتجال وكان حاضرا بهذا المجال بعض الرجال استفهمه عن هذا المقال بما يناسب ذكره فى هذا المقام فقال لقد أفضت القول منك فى هذه الشطحات وتداخلت فى الفضول الذى تحدى عليك

فيه السقطات فلو أعرضت عما يوجب عليك الاعتراض والانتقاد واشتغلت بما ينفعك فى المعاد بما يقضى به عليك حسن الاعتقاد لكان خيرا لك دنيا وأخرى ونلت بذلك ثوابا وأجرا وإنى لأنصح لك فى مثل هذه الخزعبلات التى بسطت فيها قولك بالكف عنها وعدم اكتراثك بما يرد عليك منها فلست أراها من الأمور التى تنفع المريدين ولا من الأشياء التى يقول بها الخلف الذين يحملون فى الأمة المحمدية هذا الدين وما حالك فيه إلا الشهرة بين من شربوا من المعارف كؤس الخمرة وإلا فقد استهدفت لسهام الانكار عليك فيما نسبته لنفسك وما ينسب إليك فقلت له قد بالغت فى النصيحة بما لو زيد فيها لعدت من قبل الفضيحة وها أنا أنشدلك أبياتا اختلجت فى صدرى تنويها بقدرك وقدرى ولا علينا فيمن لا يدرى فاسمع

لبسنا لباس الستر بعد تجرد ... ومن يتجرد عن هواه فقد هدى
ولما تجردنا اغتسلنا بماء الحيا ... وصغنا به ماء الحياة المسرمدى
سكرنا به حتى خلعنا عذارنا ... ولم نعتذر فى ما اعترانا لمهتد
ولكن عذرنا المنكرين لحالنا ... مخافة أن يضحى بنا الغير يقتدى
على قدر ماقالوا وماقد تقولوا ... لدينا اصطبار فيه قلنا قدقد
كفانا بأنا قد صبرنا وغيرنا ... يغيره الانكار من كل معتدى
ومن ذا الذى الانكار لا يستفزه ... فيأنف منه أو به لم فيشرد
ومن خاض منا فى بحور حقيقة ... فلا يأنف الانكار ممن به هدى
فداء لأهل الحق طاش بغيضهم ... فأبدى نكيراً فيه لم يتأيد
وكل امرىء قد حارب الحق فيهم ... فلا تتردد أنه شر مرتدى

ولكن من يرمي يواقيت حكمة لمن ظنها جراً فغير مؤيد
فكان من الأولى به كتم سرها وحيث به قد باح فليتجلد
ويعذر من قاموا عليه بمنكر رآه من المعروف كالأخذ باليد
فالله ياخذ باليد ويبلغنا منه غاية المقصد
ونسأله أن يوفقنا لصالح القول
ويحوطنا بالسلامة من كل هول
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تمت الشطحات السكيرجيه بحول الله بارئ البريه)

(ويليها)

قصيدتان جليلتان للسيد محمد الحافظ التجانى رضى الله تعالى عنه قالهما فى بدايته على لسان حال شيخنا القطب الكامل أبى العباس سيدى احمد ابن محمد الحسنى التجانى رضى الله تعالى عنه وعنا به آمين

(القصيدة الأولى)

بدا حبي لمهجتنا جهارا فعاد قتام ليلتنا نهارا
وأسبغ نوره صرفا علينا وللأرواح خمرته أدارا
شربنا والجوى فى القلب يرعى فزاد فؤادنا منها أوارا
وأعيننا بغيث الوجد تهمى وفيها اللب ينهمر انهمارا
فواعجبا لمن غرقوا ببحر يزيد البحر بالبحر استعارا
فلاح الحق فى صرف التصافى أزال الكون إذ كشف الستارا
رأيناه به من غير حد وحد الكيف يندثر اندثارا

ففي العين القديمة كان عين — وفي الغين الحديث بدا استتارا
رأينا الكون وهو بلا مكان — وقد زال الزمـــان به توارى
وغين قد رأيناها سرابا — فخلناها مياها لا تبارى
تبعناها وجدناها فناء — ووجه الحق أبداها إزارا
ظننا أننا سرنا إليه — رأيناه بنا لحماه سارا
وهـا التوحيد يغمرني فمانا — سوى فرد يرى نسبا كثارا
رأيت الكل في بغير عد — أنا الكل الجميع فلا تمارا
رجعت إلى التعدد لا لعد — رأيت الوجه في العد استدارا
وليس يغيب عني وجه حق — بأية موطن نورا ونارا
ولي من صرف خمرته صفاها — ومن راحي استقى الكل العقارا
وهب نسيم راح شذاو صالي — على الندمان فانقلبوا سكارى
ومشهد وحدتي مالاح إلا — لأبدالي وقد خلعوا العذارا
فلا الملكوت يبد وفي المجالي — ومن شمسي انزوى الفلك انفطارا
ولا الجبروت يشغلني ولاما — سوى ذات الحبيب ولا خمارا
وقد عجب الجميع لسطو حالي — وعند بدايتي خضت البحارا
وقد وقف القساور دون سيري — ولي خبب سريع ما يجارى
ولو بحنا بسر الذات جهرا — لخالونا مجوسا أو نصارى
ودون شهودنا ماتت فحول — أذيبوا عندما وصلوا الجوارا
نشير إلى هويته برمز — كما أن المهيمن قد أشارا
على نور الصفا أصفى صلاة — كمال الحق لاح لنا نهارا
وذات سلامه تهمى عليه — وأحمد من به الكل استنارا

وهذه القصيدة الثانية على لسان سيدى احمد التجانى رضى الله تعالى عنه

لولاح نورى ذابت الآثار ولبدء نورى تنتهى الأنوار
وصبابتى تسمو على حر اللظى وبدا الجميل وغابت الأغيار
ورحيق صفوى للجميع أبحته فرواهم هطاله المدرار
ويفيض بحرى ما يغيض بخمرة فيها الصفا والانس والأسرار
لو قطرة مما شربت وضعتها فوق القلوب لأسلم الكفار
أوجذوة من نار وجد حشاشتى فوق الجبال لأحرقتها النار
هذا فؤادى لا أراه بأضلعى والروح ولهى والجحيم يثار
ياروح ذوبى فى الحبيب صبابة بالموت تحيا السادة الأخيار
ياروح غاب الكون فى غيب الخفا وبدا الحبيب وزالت الأستار
فأنا الجميل أنا الجمال أنا الصفا والخمر والأقداح والخمار
وأنا النديم أنا الدنان وحانها والعود والأنغام والأوتار
وأنا المغنى والغناء وسامع نغمات نفسى الناى والمزمار
ماثم غيرى فى الوجود بأسره وبنورى الباقى الفناء ينار
وعدمتنى فوجدتنى وتركتنى فاذا أنا فردوسه والنار
وسقيت كل الشاربين بقطرة فتهتكوا ولدى ضيائى حاروا
ورويتهم فتواجدوا فى سكرهم وصفا الصفاء الأحمدى يدار
وخفا الحقيقة مشربى ومشاهدى ذاتية فيها الظلام نهار
صلى عليك الله ياسر الهدى من منه كل القرب والآثار
جد الحسين ونور سر بداية ونهاية دار الرضا وأوار
وسلام ذات لا انتها لكمالها تهمى عليك فتستقى الأبرار

﴿شرح حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى أصل النور المحمدى﴾

﴿للعلامة أبى العباس سيدى أحمد سكيرج الخزرجى الأنصارى﴾

(وهو جواب عن سؤال من محمد سعيد على وذلك فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٩ه)

اعلم ان ما سألتم عنه من حديث جابر ابن عبد الله الذى وقعت فيه المذاكرة وهو قوله (بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أى شىء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال ياجابر ان الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) وهذا الحديث يذكره أصحاب الموالد وقد ذكره القسطلانى فى المواهب اللدنية ورواه عبد الرزاق ومن طريقه عرفت روايته كما يذكر أصحاب الموالد حديث: أن الله قبض قبضة من نوره فقال لها كونى محمدا فكانت الخ والمعنى أن الله قبض قبضة من النور المضاف له ومن فى قولة نوره للبيان فكأنه يقول نور نبيك الذى هو نوره وقبضة هى نوره على قاعدة تفسير من البيانية عند النحاة ونور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أصل الأنوار وهو الذى تقتبس منه فى سائر الأنوار والأطوار فالنور مخلوق وبعض العارفين جعل الضمير من نوره يعود على نبيك من قوله نور نبيك ففيه نوع استخدام فكأنه يقول خلق نور نبيك من نور نبيك بمعنى أن نور النبى صلى الله عليه وسلم خلقت منه ذات النبى صلى الله عليه وسلم وروحه وجميع أحواله فنوره صلى الله عليه وسلم منه وجد صلى الله عليه وسلم ووجد منه كل مخلوق أما نور الذات العلية فهو قديم غير حادث ونوره تعالى غير متكيف ولا متجزئ والنور فى حقه تعالى بمعنى منور كما فسر به قوله تعالى: الله نور السموات والأرض أى منورهما فلا يمكن الأخذ من الذات تعالى مولانا عن التجزئ فى الذات والصفات والأفعال وبعبارة أخرى: إن الله خلق نور نبيك من نور خلقه فكان ذلك النور هو نور نبيك فلاشىء قبله من المخلوقات بل منه تكونت المكونات والكائنات وكل ما دخل فى دائرة الامكان فمنه واقتباس كل متكون منه كيف ما كان ولقد كنت قبل هذا الابان متشوفا إلى الاستطلاع على كيفية اقتباس الأشياء منه عليه السلام

فأرانى الله ذلك فى مشهد عظيم ولا بأس بذكره لكم فلعله ينجلى به عنكم الحجاب الذى كان مسدولا على حتى كشفه الله عنا فشاهدناه كما يليق بجنابه وذلك إنى رأيت نفسى أتذاكر مع بعض أشياخنا العارفين بالله وهو الشيخ أبو القاسم سيدى محمد فتحا بن قاسم القادرى الى أن سألته عن كيفية تكوين الخلق من النور المحمدى واقتباس الأنوار من نوره عليه السلام على اختلاف أطوار الخلق وأدوارهم وتقلباتهم من نشاة الخلق إلى الفناء الجسمانى الى النعيم المقيم وغيره من محمود ومذموم وسعادة وشقاوة وموت وحياة وحيوان وجماد ونبات وغير ذلك فقال لى فى ذلك المشهد : ان الله سبحانه وتعالى لما خلق سائر العوالم كانت الأكوان والمكونات مما قدر أن يكون على ترتيب وجودها وفنائها منطوية تحت دائرة الفلك المحيط بالكل والفلك تحته دوائر الى آخر موجود كالكرة بل كدوائر البصلة دائرة تحت دائرة وفيها ثقب خرقت جميع الدوائر بحيث ينفذ النور من الثقبة لخارج الكرة من سائر الجهات وطبقات الكرة بعدد القرون والسنين والشهور والأيام والسوائع والدقائق الى أقل من طرفة عين فلما أراد الله امداد الكل من النور المحمدى وايجاده على وفق مراده خلق النور المحمدى فقابله من ظله تلك الكرة دائرة الفلك المحيط ولولاه ما ظهرت فانتشر النور على الكرة ونفذ من سائر الثقب للخروج ثم أمر الحق الفلك بالدوران وبدوران كل دائرة تحته بترتيب بديع بتدبير البديع الحكيم فصارت الثقب يصادم بعضها بعضا والنور منبسط عليها فتارة يجد منفذاً للخارج من الثقب المصادف لما هو أعلى وتارة يحجب الثقب ماوالاه مما ليس بمثقوب فيحجب النور عما تحت الثقب فمن أشرق النور عليه فهو فى سعادة ونور وما حجب عن النور فهو فى شقاوة وظلام وبذلك ظهر الايمان والكفر وما يؤدى اليهما فى السر والعلن فى كل زمن الى ماشاء الله والكل آخذ منه على قدر ماقدر له فكان الجميع منه ومقتبساً منه طبق ما ترى وأشهدنى الحق فى ذلك المشهد دائرة الفلك المحيط والنور المنتشر من فوق عليه وهو مشهد عظيم بفهمه تنجلى

الأوهام التى تتسلط على عقل الضعفاء الذين لم يقدر لهم فهم وجود الخلق من سيد الوجود عليه السلام واقتباس النور منه واتضح لكم بحمد الله أن ضمير نوره راجع للنور المحمدى من باب الاستخدام وهو نوع من أنواع البديع عند علماء الفن لا يقال أن النور هنا نفس النور الأول من قوله نور نبيك فيقتضى تكوين الشىء من نفسه لأنا نقول من من قوله من نوره بيانيه والمعنى عليها نور نبيك الذى هو نوره وليست بتبعيضية ولك أن تجعل الضمير عائد إلى الحق سبحانه والنور مخلوق منسوب للحق على حد هذا خلق الله فهو مضاف لله وذلك النور المخلوق هو نور نبيك لا غير فان قيل المخلوق لا بد له من زمان ومكان فيقتضى كونهما معه أو قبله مع أنه هو أول الأشياء فكيف الحال فنقول الزمان والمكان هما من جملة ظله ولولاه ما تكونا وقد شاهد ﷺ ذلك منه متكونا ورآه متحركا بتحرك دوران الفلك المحيط فى ذلك المشهد وبه تفهم مخاطبته بقوله تعالى فى مقام المنة ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله سا كنا. فقد خاطب الحق سبحانه نبيه فى هذه الآية بما آنسه به فى مقام جمع الروح بالجسم كما ذكر له لما شاهده حال تجرد الروح الكريم فان النور المحمدى عند وجوده كان يعقل ويفهم عن الحق وقد نبى فى ذلك المخدع الذى انفرد فيه بربه قبل خلق شىء من الأشياء لا آدم ولا غيره وقد رمز لذلك فى حديث: كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقد شاهد ﷺ ربه بالتجلى الذى تجلى به على ظله الكريم فمده فكان منه كل شىء فكأنه تعالى يقول: ألم تنظر يا محمد الى ربك كيف مد الظل فهو تقرير لما رآه فقد شاهد ربه وشاهد كيفية مده للظل الذى هو كل الخلائق فجمع عليه السلام من الجنسين وهما رؤية الحق ورؤية الخلق على وفق ما قدر له فى ذلك المشهد الذى لم يشاهده غيره فعرف حقيقته بما لم يعرفها به غيره فقال: لا يعرفنى حقيقة غير ربى فهو الحجاب الأعظم المشار له بقول ابن مشيش: واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى الخ فافهم ذلك وربك الفتاح العليم

﴿ وهذه تقاريظ لجماعة من ذوى العقول الزكية ﴾
﴿ لكتاب الشطحات السكيرجيه ﴾

﴿ قال السيد محمد الحافظ التجانى لا زال مشمولا بالعون الربانى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فشهود الجلال وصولته وذوق الجمال ونشوته لا مناص من الانصباغ بأثرهما وظهور هذا الأثر على من لاحت مجالى الجمال والجلال عليه . وسواء أسميت الجلال جلال الجمال أو قلت عنه هو الجلال الصرف . وكما أن من لم تلذعه لواذع الهيام لا يمكنه تقدير ما يقوم بالهائمين كمن ولد فاقد السمع لا يدرك ما يدرك السميع من الأصوات ومدلولاتها ومحاسنها ولا تنفعل نفسه الانفعال المعلوم . فكذلك من لم يكن له فى هذا الشأن قدم ولقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الجوع والعطش قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على سا[illegible]يموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده

وإن نقله صلى الله عليه وسلم للصورة كما وقعت لأبلغ تعبير عن شدة فرح الرجل التى خرجت به عن طور العقل وسلطانه إلى الدهشة الصرفة حتى صار مأخوذا مشدوها لا يعى ما يقول وهو معذور فيما يقول ولا أحسب من ينصف يرى أن رد الناقة لصاحبها وعليها طعامه

وشرابه مهما كان فيهما من حياة وغبطة يكون دون انكشاف الحقيقة عن عين البصيرة حتى يجد نفسه. والمحجوب قد ضل نفسه دون التحقق بالسعادة فى عين اليقين حيث لا حجاب ولا ستار عن حقائق المعرفة الشهودية بالله وبفضل الله وبجمال الله وبكمال الله حيث الأنس الذى تقصر عنه العبارة حيث الحب. الحب الذى هو الحب حب الله الحنان المنان الملك الذى الكمال كماله حيث الغيبة فى سبحات الرحمة وإن عبدا ذاق حسوة من (وحنانا من لدنا وزكاة) فكانت فوق طوقه. فطاش لبه وذهل عقله لمعذور. وكيف وقد عذره الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم فى شرحه لمنازل السائرين للحافظ الهروى المفسر فى منزل الرجاء فى الجزء الثانى: وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس إحداهما حجبت عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بها مطلقا وهذا عدوان وإسراف. فلو كان من أخطأ أو غلط ترك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها. والثانية حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم على عيوب شطحاتهم ونقصانها فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار وهؤلاء معتدون مفرطون والطائفة الثالثة وهم أهل العدل والانصاف الذين أعطوا كل ذى حق حقه وأنزلوا كل ذى منزلة منزلته فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ولا المعلول السقيم بحكم الصحيح اهـ وقال فى باب الجمع حين تكلم على الذين تخطفهم

لوائح شهود الجمع وهذا قد يعرض للصادق أحيانا فيعلم أنه غالط فيرجع إلى الأصل ويحكم العلم على الحال وفى مثل هذا الحال قال أبو يزيد .. (سبحانى وما فى الجبة إلا الله) ونحو ذلك اه

فالمحققون لا يؤاخذون أهل الغلبة فيما وضح لهم نبوه عن الاصول واليوم نرى لوناً من الشطح العاقل الذى يرعاه الميزان الشرعى فى غيبته وحضوره شطح العارف سيدى احمد سكيرج التجانى رضى الله عنه حيث يحمل لنا صور الوجد والفقد والالهام والخطاب والنعيم والعذاب . والهيام والكلام والفرق والجمع والسمو والتدلى والدلال والجلال والشؤون والشجون والرنة والحنين والمعرفة البينة والتوحيد الربانى والنفس الأقدسى وشتى المعارف والأذواق والفهوم والحكم والعلوم . ولا يتوقف فيها من عرف اصطلاح القوم . أما من لم يكن له من معرفة شدوهم نصيب فعليه أن يذهب إلى الخمائل حيث يستمع شدو الطير إذا حنت إلى مغناها أو عادت اليه وليسأله سبحانه أن يفتح أذن قلبه ويرزقه الفهم حتى يعلمه ظواهر منطق الطير فى عاطفته المرسلة ويفقهه فى لغة الأرواح المعذبة المنعمة فى قيدها وإطلاقها إذ ذاك يقطع أن نور الشريعة مسرحهم ومغداهم ومرتعهم ومقامهم هو روحهم وهو غذاؤهم وحياتهم حيثما كانوا وكيفما كانوا فى حضرة الكون أو فى حضرة الحق عز وجل

وأسأله سبحانه أن يفهمنا ويفقهنا وأن يذيقنا ويحققنا به لا بغيره وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

مصر الجماميز ٣، محمد الحافظ التجانى

﴿وقال ملتزم طبعه محمد سعيد على المالكى التجانى﴾
﴿بلغنا الله وإياه بمنه وفضله جميع الأمانى مقرظا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أخذ أولياءه المقربين إليه منهم ورزقهم فى حضرة شهوده الفناء به عنهم ففاهوا عند تجليه لهم بما رق وراق مما لا يدركه إلا من كان مثلهم من أهل الأذواق وصلاة وسلاماً لا يحصر عددهما ولا ينقطع على الدوام مددهما على سيد سادات أهل الشهود الربانى سيدنا محمد الذى آتاه الله القرآن العظيم والسبع المثانى وآله الذين منحهم الله من شهوده غاية المقصود وأصحابه الذين بذلوا فى نصرته وتأييده نهاية المجهود ﴿وبعد﴾ فقد من الله على وله الحمد الجميل والشكر الجزيل بالتزامى لطبع الكتاب الذى ليس له فى بابه مثيل المسمى بالشطحات السكيرجية نفعنا الله به فى الحياتين الدنيوية والاخرويه ولدى تمام طبعه قلت وعن طريق الحقيقة ماحلت

سكيرج يا أخا القدر المعلى ... ويامن لم يزل للفضل أهلا
وياشيخى الذى مادمت أعزى ... اليه لم أخف ضيما وذلا
ويا سندا ومعتمدا وذخرا ... لمن بحماه لاذ وفيه حلا
لقد جل السرور لدى لما ... لشطحك فى الملا نور تجلى
وقد عم الفضا شرقا وغربا ... وذا بالطبع لما أن تحلى
فرونق طبعه زاه وباه ... كضوء الشمس من أفق تدلى
فقل شكراً لربى إذ هدانى ... إلى تأليفه عقلا ونقلا

لينتفع المحب به ويجنى ثمار هداه منه حين يتلى
فانك معدن الأسرار حقاً وبين أولى الكمال أجل مولى
وأعظم مرشدا لأجل نهج وأوحد عالم بالمدح أولى
وللقطب التجانى دم نصيرا على الأعدا وللاخوان ظلا
بجاه ختام كل الرسل طه عليه وآله الرحمن صلى
مدى ما قيل فى بدء وختم سكيرج يا أخا القدر المعلى

﴿ وقال مقرظاً حضرة الفاضل حسين أحمد الشيخ حفظه الله ﴾

لشطح سكيرج شيخ الطريقه معان كلها وردت دقيقه
ولكن ليس يدركها تماما سوى من كان من أهل الحقيقه
فان تك منهمو فبها وإلا فلا تك باعتراضك فى سحيقه
وسلم ما يقول له لتمسى وتصبح سائداً بين الخليقه
وكن ممن اليه له انتساب فقد منح الرضا ربى فريقه
وفى سر وفى جهر تمسك بحبل عهود حضرته الوثيقه
وطب نفسا بذا ما دمت حيا إلى يوم الحساب ورد رحيقه
وأخلص فى محبته دواما فبالاخلاص تكفى كل ضيقه
وترقى للعلا أبداً وتجنى ثمار الخير من أزهى حديقه
وحدث عن معارفه اللواتى زكت كزهور روضات أنيقه
وقل شكراً لربى إذ هدانى بمنته إلى فهم الحقيقه
وإن الفضل فى هذا لعمرى لشطح سكيرج شيخ الطريقه

(تم)

﴿وقال مقرظاً ومؤرخاً عام طبعه المتوكل على الكريم المنان الفقير﴾
﴿إليه تعالى عبد الصمد أحمد الحسينى السنان﴾

شطح الولى على سمو المرتقى | أى مرتقاه هو الدليل المنتقى
فاقنع به ودع اعتراضك واتبع | نصحى لتصبح بالأماجد ملحقا
وتعاذ فى الدنيا فى الأخرى معاً | من كل هول شأنه أن يتقى
واثبت على حسن اعتقادك فيه يا | هذا ليحفظك الاله من الشقا
والزم حمى ذلك الولى ولا تمل | عن نهجه للخير تمس موفقا
واعلم بأن لشطحه فى محوه | معنى على مثلى ومثلك مغلقا
لكن إذا فيه اعتقدت وما انتقد | ت لديك أضحى ماجهلت محققا
هذا وما ذاك الولى سوى الاما | م سكيرج بحر المعارف والتقى
شيخ الطريقة والحقيقة أحمد | من من معين هدى التجانى استقى
فسقاه من بحر الحقيقة شربة | جعلته بحرا بالعلوم تدفقا
وبها له انجلت الحقائق فابتدى | عنها لنا يهدى البيان منسقا
طوراً بواسطة اللسان وتارة | بمؤلفات كالزواهر رونقا
والشطح هذا كائن من ضمنها | فانظر تجد ما فيه عيب مطلقا
ما فيه إلا كل ما هو لائق | بجلال ربك ذى الجلال وذى البقا
ولذاك سر بطبعه من قلبه | بالله فى كل الشؤن تعلقا
فالى مؤلفه بحسن تأدب | أهدى ثناء بالسلام مطوقا
وأزف تهنئتى بطبع كتابه | طبعا زها لما انتهى وتألقا
وله أقول لدى الختام مؤرخاً | بالطبع شطحك ها سكيرج أشرقا

١٣٥٢   ١١٤   ٣٣٧   ٦   ٢٩٣   ٦٠٢

﴿فهرست كتاب الشطحات السكيرجية﴾

صحيفة